حتى لا تقع في الشباك

خميس الجارحي

اسم الكتاب: حتى لا تقع في الشباك
تأليف: خميس الجارحي
الإخراج الداخلي: د. شيماء محمد أبوطالب
تدقيق لغوي: عبدالرحمن غريب
تصميم الغلاف: وحيد محمد
الطبعة الأولى: 2023
رقم الإيداع: 28915 /2022
الترقيم الدولي:7- 6 - 978-977-86440





ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339

مقدمة

الأستاذ/ خميس الجارحي، معلم ومرب فاضل، يبحث عن الحق والصواب، يريد أن ينصر دينه ويعلي شأنه، رأى في مقتبل عمره أن جماعة الإخوان هي الأقرب إلى الصواب، عاش مع الجماعة سنوات طوال، اقترب منهم، ذاب فيهم، اندمج معهم زمنًا طويلًا، عرفهم وعرفوه وهو طالب في الإعدادي والثانوي، ثم الجامعة ثم التخرج والعمل.

كان خطيبًا مفوهًا، محبوبًا من الجميع، وجد فيه الإخوان ضالتهم، يحسن كسب الناس، القلوب تحبه وتألفه، أسلوبه رائع، ورغم انتمائه للإخوان، إلا أنه رفض أن يبايع، فبقي في منتصف السلم، لم يصعد سلم التنظيم، ولم يبتعد عن الجماعة، حتى جاءت ثورة يناير وما بعدها، فظهرت كل الأوراق الخفية، وانكشفت كل الوجوه على حقيقتها، وضاع الحذر الإخواني إلى غير رجعة، وظهرت الرغبة الجلية في السلطة، وبدأ سياق عودة الإخوان والجماعات الأخرى إلى العنف.

بدأ أ/ خميس يكتشف أشياء كثيرة لم يكن قد خبرها جيدًا في الإخوان، بدأ يلاحظ ويدوّن ويرصد ويتابع، حتى خرج بحقيقة أن الجماعة ليست هي رسول الإسلام إلى مصر والبشرية، وأن سعيها إلى السلطة أهم من سعيها إلى الدين، وأن اهتمامها بالتنظيم أهم من اهتمامها بدعوة الإسلام نفسها، وأن التنظيم ورجاله أهم من هداية الخلائق.

اكتشف أشياء كثيرة سردها ببساطة وعفوية في هذا الكتيب البسيط، الذي ساق فيه تجربته الشخصية دون أن يعرج على غيرها، شرح تطورات فكره، وكيف تغيرت أفكاره وتطورت من الحب الأعمى للإخوان، إلى اعتبارهم بشرًا كسائر البشر يخطئون ويصيبون، وأن خبرتهم في السياسة بسيطة جدًا، وأخطاءهم في التكفير والعنف ما زالت متواصلة، وأن أخطاءهم السياسية كارثية، وأنهم لم يحسنوا حكم البلاد، ولا امتلاك زمام الحكم بطريقة جيدة.

الأستاذ/ خميس الجارحي ليس انتهازيًا يصعد على أكتاف الإخوان بعد دخولهم إلى السجن، ولكنه جهر بهذه الآراء وهم في أوج قوتهم، وهم في السلطة، وتحمل من أجل ذلك الإبعاد والإقصاء،

وحملات التشويه والمقاطعة، بل والتخوين والتكفير، حملات كادت تعصف بحياته، وطمأنينة نفسه، بل كادت تقصم ظهر أسرته وتفصل بينه وبين زوجته، التي تربت عشرات السنين في حاضنة الإخوان، لولا أن ربط الله بين الزوجين برباط العقل والحكمة، ومدارسة الأمور على طاولة الإنصاف والتجرد.

هذا الكتيب شذرات نفس، وكنت أتمنى أن يشرح الكاتب ويستفيض في شرح مشاعره وأحاسيسه في كل مرحلة، ولكنه كان يدلف دائمًا إلى الطرح الفكري، ولذلك فإن هذا الكتيب يصلح أن يقرأه أبناء الحركات الإسلامية الجدد؛ لكي يعرفوا الصواب من الخطأ، والأبيض من الرمادي من الأسود.

تحية للكاتب والكتاب فهي أول تجربة نرجو أن تكون له.

د. ناجح إبراهيم

تمهيد

"يسعك السكوت، إذا لم تكن جنديًا في صفوف الحق فلا تصفق للباطل" كم تمّ ابتزاز الكثيرين بتلك العبارتين وما شابههما! حتى لا يتحدث أحد عن أخطاء الجماعة وكوارثها، لقد ساورتني كثير من الشكوك عندما علمت أن بعضًا من المسلّمات التي نشأنا عليها، ليست إلا خرافات وأوهام ربت الجماعةُ الصفَّ عليها.

كل من حولي يختلفون معي ولا يستمعون إليّ، اتهامات وجّهت لي، وسوء ظن من أقرب المقرّبين إلى صداقات فقدتها، وضغوطات نفسية واجتماعية تعرضت لها، ومحاولات تشويه كادت تعصف بأسرتي، كل ذلك من أجل إجباري على السكوت، ولكني لو سكتُّ؛ لكنت خائنًا لأمانة البيان (لتبيننه للناس ولا تكتمونه)، تذكرت كيف ذهب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - إلى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم- يقول له بعد إسلامه مباشرة: بأبي أنت وأمي يا

رسول الله، ما يحبسك؟! فوالله ما تركت مكانًا كنت أجلس فيه بالكفر إلا وجلست فيه معلنًا الإسلام، غير هائب ولا خائف.

ولم السكوت؟ وقضيتي أفكار لا شخوص، بل ما زلت أحمل لكثير من الأشخاص الاحترام والتقدير، خاصة هؤلاء المخدوعين الذين لا يعرفون عن فكر جماعتهم إلا القليل، الذي قرئ لهم ووجه إليهم، أفكار تسببت في استعلاء على المجتمع، وتكفير للمخالفين وتفجير لهم، أدى إلى إزهاق الأنفس المعصومة، وخراب الأوطان المعمورة.

إذا لا يسعني السكوت في وقت يحتاج فيه الناس للبيان، كيف وقد كنت بوقًا لمنهج الجماعة زمنًا طويلًا؟

-أظنه الحق- كيف يشرع لي السكوت وقد علمت بخطئه؟! ومن لهؤلاء الذين يُغرر بهم كل يوم؟!

من أجل ذلك كان هذا الكتاب، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

خميس الجارحي

بداية الرحلة

قد يكون الحديث عن بداية الرحلة أمرًا يظنه القارئ من الحواشي التي يمكن الاستغناء عنها، ولكنها في حقيقه الأمر ليست كذلك، بل هي ضرورة؛ حتى يستفيد القارئ من التجربة، والعوامل التي تؤدي بالفرد إلى أن يصبح عضوًا في جماعة كانت ملء السمع والبصر، ولها رصيد شعبي لم تحظ به جماعة أو فرقة أخرى من فرق الإسلام السياسي، وحتى يعلم القارئ ما يمارس مع النشء والشباب، من دعوة فردية وجماعية، عليهم الانتباه لها والحذر منها؛ حتى لا يجد المرء نفسه عضوًا متعصبًا لفكرة خاطئة، يحسبها في قرارة نفسه وأمام الآخرين الإسلام ذاته، ويستعلى بها على مجتمعه، بل ويبذل لها الجهد، ويضحي من أجلها بالرخيص والغالي؛ من أجل سيادتها وانتشارها.

تبدأ الرحلة من أواخر السبعينات، حيث كانت مدرستي الإبتدائية بالإسكندرية، قريبة من مسجد النور وهو أحد قلاع جماعة الإخوان بالمحافظة الساحلية، وكان قد بدأ الاهتمام وقتها بقضية الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، وقد أبرز المسجد خارجه صورًا للمذابح التي يتعرض لها الشعب الأفغاني، وتجمع التبرعات، وتعقد الندوات والمحاضرات التي تتحدث عن تلك المذابح، وتشيد بقادة الجهاد

الأفغاني (عبد رب الرسول سياف _أحمد شاه مسعود_قلب الدين حكمتيار_برهان الدين رباني) وغيرهم من المجاهدين، بل ويتحدث عن كرامات هؤلاء المجاهدين، وكنت أشاهد وأستمع لكل ذلك، فيبكي القلب قبل العين على ما يعاني المسلمون هناك.

ومن خلال تلك الندوات والمحاضرات تتكون الصحبة، وتتلقف من قبل أفراد الجماعة، سواء من الجيران في الحي ومساجده، أو من خلال كوادر آخرين

وجدى غنيم كشك الإسكندرية

في أوائل الثمانينات اغتيل الرئيس محمد أنور السادات، وكان قبل اغتياله قد اعتقل عددًا كبيرًا من الإخوان واليساريين وغيرهم، ثم جاء الرئيس مبارك وأصدر عفوًا عن معظم من اعتقلهم الرئيس الراحل، فكانت هذه مرحلة جديدة لعودة الإخوان إلى نشاطهم الدعوي في المجتمع، وبرز في الإسكندرية كثير من الشخصيات، كان أبرزهم: وجدي غنيم، صاحب الأسلوب الساخر الذي يجذب الكثير من الناس، وكنت مع غيري ممن يحضرون هذه الدروس والمحاضرات والخطب، التي يلقيها الشيخ وجدي، وكان الناس يقبلون عليها؛ لأسلوبه السهل والشعبي المعتمد على الفكاهة، والذي يجعلك تجلس بالساعات، ولا تمل الجلوس أو الاستماع، وكأنك أمام فيلم أو مسرحية كوميدية، يتخللها معلومات دينية قليلة، وسخرية من المسؤولين كثيرة.

كانت هذه الدروس فرصة لكوادر الإخوان؛ لربط الشباب بهم وبمساجدهم، لم يكن هناك حديث عن جماعة الإخوان أو عن أفكارها، كان الاهتمام بجذب الشباب والنشء عن طريق ممارسة الهوايات، فتارة دورة في كرة القدم، وتارة ثانية مسابقة في تنس الطاولة، وتارة ثالثة سباق للضاحية، والواحد منا في هذه المرحلة الإعدادية والثانوية تجذبه هذه الهوايات، خاصة عندما تكون مميزًا فيها ويشار إليك بالبنان؛ فيزداد ارتباطك بالمجموعة وحبك لها، ممارسًا للهوايات المحببة إليك، وصحبة صالحة بالمسجد وخارجه، والمرء في هذه المرحلة لا يحتاج إلى أكثر من ذلك.

كانت الجماعة تنظم سباقات الماراثون، ويشترك فيها الكثير من الشباب، وكنت في سباقها الأول قد حصلت على المركز الثالث، وعلى المركز الثاني في المرة الثانية، وكان يقام احتفالًا؛ لتوزيع الجوائز، التي كانت عبارة عن كتب من تأليف قيادات الجماعة، وكانت جائزتي في السباق الأول كتاب (الرسائل) للإمام/ حسن البنا، وفي السباق الثاني كتاب (فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين) للأستاذ/ جمعة أمين القيادي

الإخواني بالإسكندرية، وصاحب مدارس المدينة المنورة، أكبر مدارس الإخوان بالمحافظة، والذي تولى منصب نائب المرشد بعد ذلك، والذي قام -رحمه الله-بتسليم الجوائز بنفسه وقتها.

وجدت نفسي أعود إلى المسجد الأول في لقاء نسميه (لقاء الشباب)، حيث تلاوة ومدارسة كتاب الله وسنة رسوله_صلى الله عليه وسلم_ثم سيرة صحابة رسول الله من كتاب (رجال حول الرسول) للكاتب الرائع/ خالد محمد خالد، ثم أنشودة، ولا مانع بعد ذلك من ركعتين قيامًا بين يدي الله قبل الانصراف.

مرحلة الجامعة

نجحت في الثانوية العامة، والتحقت بعدها بكلية الآداب_ جامعة الإسكندرية_ قسم اللغة العربية، وكان علي أن أنشط في العمل مع أفراد الجماعة داخل الجامعة، لم تكن الجماعة ترفع راية الإخوان المسلمين في ذلك الوقت، وإنما كانت وغيرها يعملون وينشطون تحت راية (الجماعة الإسلامية).

كنت أقوم في بداية كل يوم بتلاوة آيات من القرآن الكريم على مسامع الطلاب، ويقوم أخ آخر بإلقاء كلمة عن أدب من الآداب، أوتفسير لحديث شريف، وربما تبادلنا الأدوار في أحيان كثيرة، وكنا نقدم خدمات كثيرة للطلاب، كطباعة المحاضرات والمذكرات، ونوفرها بأثمان تتناسب والمستوى المادي للطلاب، وبجانب هذه الأعمال الخدمية كنا نقوم بعمل مؤتمرات عن القضايا الملحة للأمة، كقضية فلسطين، وقضية تحرير الكويت، ورفضنا لمشاركة التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في

ضرب العراق، في هذه الفترة كنت أترشح على قائمة الجماعة في انتخابات اتحادات الطلاب، وأحضر مع أفرادها المعسكرات.

كانت أفراد الجماعة أثناء ذلك يضعونني تحت المنظار، ويمارسون معي الدعوة الفردية، وفي الدعوة الفردية توكل الجماعة لبعض أعضائها العاملين الاهتمام بالفرد الذي تريد ضمه إليها؛ ليصبح عضوًا عاملًا فيها، فتشعر باهتمام زائد، بل ومبالغ فيه في بعض الأحيان، حيث يبذل صديقك المقرب جهده وماله ووقته؛ ليدخل السرور عليك، أو ليساعدك في حل مشكلة لديك، والإغداق عليك بالهدايا بمناسبة وغير مناسبة، فترتبط بالشخص أكثر فأكثر، ثم يدعوك لحضور لقاء الأسرة المسؤول عنها، طبعًا كنت أقابل ذلك العطاء بمثله حتى لا يكون لأحد عليّ سبيل، أو هكذا تربيت.

لم ألتزم في العمل مع الجماعة داخل الجامعة إلا لعامين، وبعدها اخترت العمل مع الجماعة في الحي، فكنت أقوم بالتدريس لأشبال الجماعة في مساجد الحي، وهناك منهج تضعه الجماعة ليدرس للأشبال، ولا يترك لاختيار الأفراد.

وظيفة الاعتكاف

اعتكفت مع الجماعة كثيرًا في مساجدها، والاعتكافات فرصة للجماعة في تربية أفرادها، بل وفي اختيار أفراد آخرين مميزين عن غيرهم، وضمهم إلى الجماعة، وبعد حضوري لأحد الاعتكافات في العشر الأواخر من رمضان، كانت تقدمني فيه الجماعة؛ لأقوم بإلقاء الكلمات في المسجد على المصلين، وقبل نهاية الاعتكاف تم دعوتي من الأخ المسؤول عن الاعتكاف إلى حضور لقاء الأسرة المسؤول عنها فرحبت بذلك، حيث أنني بعد كل ذلك ما زلت محبًّا للجماعة، ولم أكن عضوًا عاملًا فيها.

في أثناء الاعتكاف كنا نجهز لصلاة العيد، وكانت الجماعة تهتم بها كثيرًا، وتجتهد في جذب الجماهير للصلاة في ساحاتها، بعيدًا عن ساحات الدعوة السلفية، ووزارة الأوقاف، حيث كنا ننظر إليهم كأعداء، وكانت مسيراتنا إلى مصلى العيد تنطلق بالهتافات، وتعلو الأصوات كلما مررنا على مصلى للسلفيين أو للأوقاف!

حضرت إلى الأسرة، ولكني لم أجد نفسي بين أفرادها، خاصة مع اختلاف المستوى الثقافي، وتدنيها عند بعض أفرادها، وجدت نفسي

مضطرًا إلى العودة إلى حفظ قصار السور، أو أعود إلى دراسة فصول من السيرة فرغت من دراستها من قبل، فوجدت نفسي غير مستفيد من الجلوس في الأسرة، ولم تضف لي شيئًا، كما أن انشغالي بالعمل في الصيف، وممارسة كرة القدم، جعلني في حل من أن أكلف نفسي ارتباطات أخرى، خاصة وأنا غير مستفيد منها علميًا وثقافيًا كما أسلفت، وقد حدث أن قُبض على مسؤول الأسرة في قضية سلسبيل، فلم تنعقد بعد ذلك، وكأن القدر كان رحيمًا بي؛ حتى أظل محبًا للجماعة فقط، وأراها من خارجها فلا يصيبني ما أصاب أعضاءها، من تعصب يحول بيني وبين رؤية أخطائها، والابتعاد عنها.

كنت في هذه المرحلة قد تعلمت الخطابة، أو تستطيع أن تقول أن الظروف جعلت مني خطيبًا، بعدما كنت ألقي كلمات فقط بعد الصلوات، فقد حدث أن اعتذر الخطيب ليلة الجمعة، ولم يكن أمام مسؤولي المسجد إلا تكليفي بأداء الخطبة، وبالفعل صعدت المنبر، وألقيت خطبة نالت استحسان المصلين، ومن يومها أصبحت خطيبًا لمساجد الحي، أنتقل من مسجد لآخر؛ معبرًا عن فكر الجماعة، والقضايا التي تشغلها، وتشغل الرأي العام بها.

في أوائل القرن الجديد، قامت وزارة الأوقاف بالإسكندرية بضم الكثير من مساجد الإخوان ومعاقلها بالمحافظة إلى الوزارة، وانتقلت الجماعة إلى مساجد أقل تأثيرًا، وبدأ ابتعادي عن الجماعة شيئًا فشيئًا، ولكني ما زلت ألقي الخطب في مساجدها، ويعود النشاط مرة ثانية مع كل مشاركة انتخابية للجماعة، فقد كانت الجماعة تصمم على المشاركة، على الرغم من علمها المسبق بتزويرها من قبل نظام مبارك.

كانت الجماعة تجدها فرصة لعقد المؤتمرات، التي لم يكن مسموحًا لها بها في غير الانتخابات، كنا ونحن صغار نستيقظ قبل الفجر، ثم نذهب إلى المسجد فنصلي، ويقوم الأخ المسؤول بتوزيعنا على مناطق الحي؛ لنلصق الدعاية على الحوائط، قبل أن ينتبه إلينا رجال الأمن، الذين كانوا يمزقون بعضها بعد ذلك، وكنا نصعد البيوت ونضع أوراق الدعاية تحت أبواب الشقق، و لما وصلتُ لمرحلة الشباب، كنت أقوم بالدعاية للجماعة ومرشحيها في المساجد، والمدارس ومراكز الشباب، وفي انتخابات النقابات بالإسكندرية، كنا نتسلم قائمة بأسماء المهندسين، والأطباء وعناوينهم، ونذهب إلى بيوتهم؛ فنسلمهم (هدية) ومعها أوراق الدعاية لمرشحينا في انتخابات نقابة الأطباء والمهندسين، كانت الجماعة تستغل

الترشيح في الانتخابات، في الدعاية للجماعة وزيادة انتشارها بين الناس، إلى جانب ما كانت تقدمه من خدمات ومساعدات للناس، وربما استطاعت أن تفوز ببعض المقاعد، أو يمرر لها بعض المقاعد بالاتفاق مع الدولة أيام مبارك، بل وتستغل الجماعة تزوير الانتخابات لصالحها أيضًا؛ باكتساب تعاطف الناس؛ فتضرب بذلك عصافير كثيرة بحجر المشاركة في الانتخابات.

ولذلك صممت الجماعة على المشاركة في الانتخابات البرلمانية عام 2010 على الرغم من مقاطعة أحزاب المعارضة المصرية لها؛ لعدم توافر ضمانات النزاهة لها، وأولها عدم الإشراف القضائي عليها، وذلك لأن أهداف الجماعة من المشاركة كما أسلفنا ليست كأهداف الأحزاب السياسية، وبالفعل لم يستطع نظام ورجال مبارك إخفاء التزوير الفج الذي مارسوه، ونقلت كاميرات التليفونات المحمولة مشاهد تسويد البطاقات، مما ساهم في زيادة الغضب الشعبي والاحتقان في الشارع المصري.

المحب والعضو العامل

كنت في هذه المرحلة أصنف محبًا للجماعة، والمحب مثلي لا يصل إلى قسم البيعة، وليس لأحد في الجماعة أن يكلفه بشيء لا يريد فعله، ومعظم الأمور التنظيمية لا يدري عنها شيئًا، ولذلك كنت كثيرًا ما أشعر بالغربة عندما أجلس مع الأعضاء العاملين، الذين أقسموا قسم البيعة، وأصبحوا أعضاء في التنظيم، فيتهامسون أمامي بأمور تنظيمية لا يجب أن يعلم المحب مثلي عنها شيئا، بينما العضو العامل يسمع ويطيع؛ لأنه أقسم على ذلك، ويعذر من المسؤول عنه إذا قصر في القيام بما كلف به.

وكلٌّ من المحب والعضو العامل مستخدم في خدمة الجماعة، فقد كانت الجماعة تستفيد من سيرتي الحسنة بين الناس فتنسبني إليها، وربما استفادت الجماعة من المحبين أكثر من أعضائها في التنظيم، خاصة الذين يتمتعون بالسمعة الحسنة، وتتعدد علاقاتهم الاجتماعية.

الإخوان وثورة يناير

بعد تزوير الانتخابات، ومقتل الشاب السكندري/ خالد سعيد على أيدي رجال الشرطة، وكذلك تسريب مشاهد التعذيب من بعض أقسام الشرطة، ازداد الغضب الشعبي، وكذلك الحراك في الشارع، وعاد الدكتور/ محمد البرادعي، صاحب جائزة نوبل، ومدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ووجد فيه الإخوان وغيرهم ضالتهم، وجمعوا له عشرات الآلاف من التوقيعات له ولحزبه الذي يريد تأسيسه، فقد كان الإخوان وغيرهم يرون فيه الشخصية القادرة على مواجهة نظام مبارك؛ لما له من حضور ونفوذ عالمي، يجعله في مأمن من بطش السلطة الحاكمة في مصر.

برزت حركة (6 أبريل) وحركة (كفاية) وحركة (قضاة من أجل مصر)، واستغل كل هؤلاء تزوير الانتخابات، ومقتل (خالد سعيد) في إحداث حراك قوي تدعمه الإدارة الأمريكية، وتفاجأ الجميع بالشباب في ساحات وميادين وشوارع المحافظات، في يوم احتفال الشرطة بعيدها في الخامس والعشرين من يناير 2011م.

كانت الجماعة حذرة من هذا الحراك، لم تشارك فيه وتركت حرية المشاركة لبعض شبابها بصفة فردية؛ حتى إن فشل حراك الشباب لا يحسب على الجماعة، فتنال النصيب الأكبر من بطش نظام مبارك. أما أنا فقد تفاجأت بتحركات الشباب بالإسكندرية في ذلك اليوم، الشباب منظمون، يدركون ما يفعلون، شجاعة تفوق الوصف، مظاهرات صغيرة في أماكن عديدة، أزقة وحارات لم يُعرف عنها

مشاهدة مظاهرات واحتجاجات فيها، مما أربك قوات الأمن، وشتت جهودها، الإخوان غير متواجدين على الأرض، وما حدث في ميدان التحرير، وشاهدته عبر شاشات الفضائيات ينذر بأمر خطير لم يحدث في مصر منذ زمن بعيد.. كنت مبهورا بما يحدث، أعد نفسي للمشاركة فيما هو آت.

جمعة الغضب ومشاركة الإخوان

في الثامن والعشرين من يناير، وبعد نجاح الشباب على مدار ثلاثة أيام، قرر الإخوان المشاركة في الثورة، وحشدوا لذلك أعضاءهم، والجماهير المؤيدة لهم من ناحية، أو الطامحة في التغيير من ناحية أخرى، في هذا اليوم توجهت مع أحد الإخوان إلى ميدان القائد إبراهيم بالإسكندرية، وبعد مناورات مع قوات الأمن استطعنا دخول الميدان، وعلى الرغم من امتلاء الطرق المحيطة بقوات الأمن، إلا أننا تفاجئنا بأعداد غفيرة من المتظاهرين، نجحت في الوصول إلى المسجد وميدانه، الجميع متحفزون، والمشهد يوحي بمواجهات ستحدث بين الأمن والجماهير المحتشدة، وأعتقد أن معظم المصلين لم ينصت جيدا للخطبة، بقدر تفكيرهم فيما سيحدث بعدها، وبالفعل ما كاد الخطيب يفرغ من التسليمتين، إلا وبدأ الأمن يطلق قنابل الغاز وسط المصلين، وبدأت مواجهات عنيفة، أصابني الاختناق لوقت بسيط، وتفرقت عن صديقي الذي أتى معي، وجدت نفسي أسرع إلى طريق الكورنيش؛ حيث فرصة

المناورة أكثر، بينما ازدحم طريق الترام بالمتظاهرين، وحدثت المواجهات في مكان ضيق، أصيب فيه الكثير بالاختناق، وأطلق الرصاص الحي، وسقط قتلى ومصابون، وقام المتظاهرون بطرد قوات الأمن من الميدان، ومنهم من انسحب بعدما أحرقت بعض سياراتهم من قبل المتظاهرين.

سرت مع المتظاهرين في طريق الكورنيش، الأعداد غفيرة، من الرجال والنساء، شبابًا وشيوخًا، الجميع يهتفون بسقوط النظام، وقد شكّلوا بأعدادهم في طريق الكورنيش ما يشبه السيل الجارف، الذي يجرف كل من يقف أمامه، حتى قوات الأمن التي حاولت منعنا من الاسمرار لم تستطع، بل كان علي وعلى غيري إقناع المتظاهرين بعدم الاعتداء على قوات الأمن؛ فهم في النهاية إخواننا وأبناؤنا وأقاربنا.

استمر هذا السيل الجارف في المسير، حتى تقابلنا مع مسيرة قادمة من مسجد (سيدي بشر الشيخ) كما يسميه أهالي الإسكندرية، وكان معظم من أعرفهم من الإخوان فيها، فغيرنا المسير إلى طريق الحرية، وأمام قسم الرمل أشعل المتظاهرون النار في سيارات الشرطة، وأمسكت مع أحد المتظاهرين خرطوم المياه الضخم من محطة البنزين القريبة من

القسم، لنطفئ النيران المشتعلة في سيارات الشرطة؛ حتى لا تؤذي سكان العمارات المحيطة، أو تصل إلى محطة الوقود.

وعند آذان المغرب، أخبرني أحد الأخوة بضرورة العودة إلى البيت، والانسحاب من الميادين، كما كانت تعليمات الجماعة لأعضائها.

أذكر هذه المواقف الآن وأنا نادم على المشاركة؛ بعدما علمت أن ما فعلته يخالف منهج النبي الكريم في التغيير، وأن معظم ما فعلناه كان معدًّا في الخارج، وكنا نحن المستخدمين لتخريب بلادنا بأيدينا.

كانت نيتي وأمثالي، أن نقوم بإصلاح الوطن والنهوض به، من خلال الثورة على نظام زور الانتخابات، وانتشر في عهده الفساد، وأغلق منافذ التغيير أمام الجميع، ولكن النية الطيبة لا تكفي في العمل، بل لابد من موافقة العمل للشرع، وهذا ما لا يتوفر في التغيير بالثورة، ولكنه يتوفر في الصبر والإصلاح المستمر للنفس، ودعوة الغير (...إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..).

استمررت في النزول إلى الميادين كل يوم، حتى نجحت الثورة في عزل مبارك، وكان أكثر المستفيدين من ذلك تيار الإسلام السياسي، إخوان وسلفيين، وجماعة إسلامية، بل وتيارات أخرى خرجت من جحورها لم نكن نسمع عنها شيئًا في عهد مبارك، وأصبح الطريق مهيئًا لفوز هذا التيار، وخاصة الإخوان بأي انتخابات قادمة.

معسكر مطروح

دعاني الإخوان إلى المشاركة معهم في معسكر لأفراد الشعبة من الأعضاء العاملين، والمحبين في مدينة مطروح، كان ذلك في بداية صيف 2011، وبالفعل شاركت فيه ولكنني تفاجأت بسلوكيات وأخلاقيات لبعض الأفراد لم تعجبني، كما وجدتهم يرفعون من شأن طالب علم لم يحصل إلا على ليسانس في الشريعة، يرفعونه إلى مصاف العلماء، ويستفتونه في كل شيء فيفتيهم، وكانت الطامة الكبرى بالنسبة لي في محاضرة عن (الربانية) ألقاها أحد قيادات الإخوان، وبعد الانتهاء من المحاضرة سأله أحد الأخوة: هل الربانية لا تتوافر إلا في منهج جماعة الإخوان؟ وكانت الإجابة بـ نعم! استنكرت الإجابة، واستنكرها آخرون، وحدثتني نفسي أن الإجابة تحمل روح استعلائية، خاصة أن هناك شعورا بالزهو لدى الجماعة؛ بعد نجاح الثورة ونسبة الجماعة هذا النجاح لحكمة قادتها، وشجاعة أعضائها، أضف إلى ذلك ما سمعته من همز ولمز واتهامات لكل قادة القوى الثورية والسياسية المشاركة في الثورة، والمتنافسة مع الإخوان.

عدت من المعسكر وفي داخلي شرخ وشك عميق، كانت بدايته قبل ثورة يناير، ومن خلال حلقات برنامج (شاهد على العصر) الذي يقدم على قناة الجزيرة القطرية، حيث استضاف المذيع الإخواني/ أحمد منصور الأستاذ (فريد عبد الخالق) وهو قيادي من الرعيل الأول للجماعة، وفي هذا اللقاء فتح الأستاذ فريد قلبه وقدم شهادته على العصر بلا مواربة، حيث نقض مسلمات وأكاذيب ربت الجماعة أعضاءها عليها، فعندما سأله المذيع عن (تمثيلية المنشية) كما يطلق الإخوان على محاولة قتل الرئيس جمال عبد الناصر، كانت الإجابة مفاجئة لي، فقد اعترف بأنها محاولة حقيقية قام بها النظام الخاص للجماعة، وليست تمثيلية كما يدعي الإخوان! وعن إعدام سيد قطب أجاب ـ رحمه الله ـ: أنه أعدم لأنه شكل تنظيمًا مسلحًا!

ويتابع قوله: أنه أرسل إليه من قبل المرشد لمحاولة إثنائه عن هذا العمل الخطير، الذي لو اكتشف من أجهزة الدولة لكان مصير الإخوان جميعًا السجن، ويتابع قائلًا: رفض الأستاذ سيد كلامه، وصمم على تشكيل التنظيم، واكتشفت أجهزة الأمن ذلك، وقبض على سيد قطب، وعلى تنظيمه، وكذلك على كثير من أعضاء الجماعة، وكان الأستاذ فريد ممن قبض عليهم، وتم تعذيبه في السجن الحربي كما يقول، وألقي في أحد

طرقات وممرات السجن، ورأى سيد قطب مع حراسه، فيقول: فالتفت إليه والتقت أعيننا، (يريد أن يقول: إنه حدث ما حذره منه ولم يستجب قطب له).

هذا قيادي من الرعيل الأول يكذب الإخوان فيما ربوا عليه أعضاءهم، بل في روايات استطاعات الجماعة بأذرعتها الإعلامية، وادعائها المظلومية أن تجعلها الرواية الأكثر انتشارًا وتصديقًا بين الناس.

قلت لنفسي بعد سماعي لهذه الشهادة: كيف تربينا على كل هذه الأكاذيب؟! وكيف لمثل هذه الجماعة أن تجعل من نفسها الجماعة الوحيدة المتصفة بالربانية؟!ومن هنا كان ابتعادي أكثر فأكثر.

في ظل حالة التشكك هذه دعاني الإخوان أكثر من مرة إلى الانضمام للتنظيم، ولكني رفضت، ومع ذلك استمررت ترسًا في آلة الجماعة، أدعو لمرشحيها على المنابر، وبين الزملاء في المدرسة، سواء في انتخابات نقابة المعلمين، أو الانتخابات البرلمانية وغيرها.

في هذه الفترة عايشت بنفسي سيطرت الجماعة وذراعها السياسي حزب الحرية والعدالة، وكذلك الدعوة السلفية وذراعها السياسي حزب

النور، عايشت سيطرتهم على المشهد الانتخابي بالإسكندرية، وتواجدهم داخل اللجان الانتخابية بكثافة، وشدة المنافسة بينهما، التي وصلت في بعض الأحيان إلى التشابك، والاتهام بالتخوين.

ما شاهدته من صراع على المقاعد النيابية، جعلني لا أشارك في انتخابات مجلس الشورى، لا بالدعاية للجماعة، ولا التصويت لها، فقد كنت أرى عدم أهمية مجلس الشورى في هذه المرحلة من عمرالوطن، التي تحتاج فيها الدولة لتدبير مواردها المالية لا إهدارها، وكنت أعجب من هرولة الإخوان والسلفيين إلى المشاركة، على الرغم من مقاطعة كل القوى السياسية لها.

القشة التى قسمت ظهر البعير

كانت الشكوك تزداد لديّ كل يوم، وأنا أرى محاولة الجماعة للاستحواذ على كل شيء، على الرغم من شعارها (مشاركة لا مغالبة)، وكثرت التبريرات والأكاذيب أثناء الدعاية الانتخابية، حتى أن أحد المسؤولين صرح لأعضاء الجماعة بقوله: لو أن الناخب لن يقول(نعم) للتعديلات الدستورية، إلا إذا هددته بأن (لا) ستدخله النار، فهدده بذلك، وعندما اعترض أحد الأعضاء بقوله: هذا كذب على الناس، فكان رد المسؤول: إننا في حرب والحرب خدعة!

أما الحدث الذي جعلني أقول للجماعة: وداعًا إلى غير رجعة، بل وتحولت إلى معارض لها، هو ترشيح الإخوان لمرشح في انتخابات الرئاسة، بعدما تعهدوا للقوى الثورية أثناء الثورة وبعدها بعدم ترشحهم لها، لقد رفض مجلس شورى الجماعة الترشيح في مرتين متتاليتين، ولكن نفوذ نائب المرشد/ خيرت الشاطر، المادي والمعنوي جعل هناك تصويتاً لمرة ثالثة، والتي وافق فيها المجلس على الترشح.

كان يومًا حزينًا بالنسبة لي، ولغيري من قواعد الجماعة، فقد كنا ندرك خطورة الأمر، وأن الفشل في حل قضايا الناس وأزماتهم سيحمل الإخوان ما لا يطيقون.

لم تقنعني مبررات الجماعة في العودة عن رأيها، وعدم الوفاء بعهدها، وقول مشايخها أن الأمر لا يعدو كونه يمينًا تستطيع الجماعة أن تكفر عنه، إن وجدت ما هو أفضل منه!، كنت أراه عهدًا لا يمينًا، عهدًا يجب على الجماعة الوفاء به، وأن النكوص عنه ينذر بعواقب وخيمة، تذكرت وقتها موقف حذيفة بن اليمان ـرضي الله عنهـ الصحابي الجليل، وكاتم سر النبي ـصلى الله عليه وسلمـ عندما قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم.

فإذا كان الوفاء بالعهد في أمر يمنع الجهاد مع النبي ـصلى الله عليه وسلمـ لازمًا، فإن الوفاء بالعهد فيما هو دونه أشد إلزامًا بلا شك.

كنت أحدث أعضاء الجماعة بذلك، وخطورة عدم الوفاء بما قطعه الإخوان على أنفسهم من عهود، وأن الإخوان إن فازوا بكرسي الرئاسة سيتحملون أوزار أزمنة سابقة، وأن ذلك يمثل خطرًا على التيار الإسلامي كله لا الإخوان وحدهم، وكان الكثير منهم مقتنعون بما أقول، ولكنهم لا يملكون _وقد تربوا على السمع والطاعة _ إلا تبرير قرار الجماعة بحجج واهية.

قررت في ذلك الوقت أن أعطي صوتي في الانتخابات الرئاسية للدكتور/عبد المنعم أبو الفتوح، وإذا كان الإخوان قد رفضوا ترشحه منذ البداية، واستقال هو من الجماعة للسبب نفسه، إلى جانب أسباب أخرى، ثم تعود الجماعة وتقرر الترشح!، إذا فإن رؤيته كانت أوضح، كما أن له رصيد شعبي، من خلال العمل النقابي، والإغاثي، بجانب آرائه المعتدلة، كل ذلك جعله صاحب رصيد لدي يجعلني أقوم بالدعاية والتصويت له.

محاولات لإثنائي عن موقفي

وما إن علمت الجماعة بموقفي، إلا وأرسلت إلى أعضائها، في محاولات متكررة لإثنائي عن موقفي، واستمالتي للدعاية والتصويت للدكتور/ محمد مرسي، فلا ينبغي لأعضاء الجماعة مخالفة قرارها، وكيف وأنت واحد منا تقوم بالدعاية والتصويت للمنافسين؟! فكان ردي: إن التصويت شهادة أمام الله سأحاسب عنها وحدي، وأنا لست مقتنعًا بكفاءة الدكتور مرسي للمنصب، ولست راضيًا عن ترشيح الجماعة لمرشح من الأساس، ولن أشهد شهادة زور تخالف قناعاتي، فلما فشلت تلك المحاولات أرسلوا إليّ من يقنعني بالعاطفة لا العقل، وخطورة خسارة الجماعة لمنصب الرئاسة على أعضائها، وتعرضهم للسجن والملاحقات مرة أخرى، فأثر ذلك في نفسي لحظيًا، ووعدته بإعادة التفكير في الأمر، ولما أعدت التفكير وجدت موقفي أقرب إلى الصواب، وأنا لست إلا محبًا، وليس في عنقي بيعة تلزمني السمع والطاعة، فأخبرته بموقفي، فلما فشلت محاولات إقناعي بالعقل أو العاطفة، جربوا معي أسلوبًا آخر، تلقيت اتصالًا تليفونيًا من أحد أعضاء الجماعة المقربين مني، وكان صديقًا

حميمًا منذ الطفولة قبل أن نتعرف سويًا على الجماعة، واستمرت صداقتنا وتوطدت بعد أن أصبح عضوًا عاملًا بالجماعة، وجدته يتصل بي قائلًا: لك عندي مفاجأة سارة، وأريدك أن تأتيني لإخبارك بها، وكنت وقتها مشغولًا فلم أذهب إليه إلا بعد يومين أو ثلاثة، وعندما قابلته قال لي: إخوانك قد اختاروك فيمن اختاروا للترشح في انتخابات المحليات، فقلت له: لا أعتقد ذلك، فسألني: لماذا؟! فأجبته: لأنني

قررت الدعاية للدكتور/ عبد المنعم والتصويت له، ولكنه أكد لي ما أخبرني به، وأنه كان شاهدًا عليه، وحاول إقناعي بالدعاية للدكتور/ محمد مرسي والتصويت له، ودعاني إلى فاعلية على كورنيش الإسكندرية للدعاية للدكتور/ مرسي، فاعتذرت له وقلت: لو كانت للدكتور/ عبد المنعم لكنت معكم، ثم انصرفت من عنده، واتصل بي في اليوم التالي فأكدت على موقفي، (للأسف هذا الأخ كفرني على وسائل التواصل الاجتماعي بعد ذلك، واستخدم آيات نزلت في الكافرين وأسقطها عليّ).

ومازلت أتساءل إلى اليوم: هل كان ما قاله بشأن ترشيحي حقيقيًا أم كذبًا؟ وسوء ظن بي بأنني سأتراجع عن موقفي لمجرد ترشيح الجماعة لي؟ وأعتقد أن الأمر الثاني أقرب للتصديق، خاصة أن

أفرادًا من الجماعة ومؤيديها، ظنوا أن موقفي هذا غضبًا مني؛ لعدم ترشيح الجماعة لي في انتخابات نقابة المعلمين، ويعلم الله أنهم كاذبون؛ لأن الظن كما وصفه النبي الكريم أكذب الحديث، ويشهد الإخوان قبل غيرهم أني قد انسحبت راضيًا من الترشح للنقابة، من أجل دعم مرشحي الجماعة، وكنت أتوجه معهم في كل جولات الدعاية لدعمهم والدعاية لهم، وكذلك كنت معهم يوم التصويت منذ الصباح الباكر إلى ظهور النتيجة في صبيحة اليوم التالي، فكيف أفعل كل ذلك وأجند نفسي لخدمتهم وأنا غاضب من عدم ترشيحهم لي؟!

أكاذيب الجماعة فى مرحلة الدعاية

"الغاية تبرر الوسيلة" هذه العبارة الميكافيلية كانت شعار الإخوان في مرحلة الدعاية، ويشرعنها الإخوان بفهم سقيم لحديث (الحرب خدعة) الذي من خلاله يخدعون الناس بكثير من الأكاذيب، فنسبوا إنجازات لمرشحهم لم تكن أبدا له، تحدثوا عن عمل الدكتور/مرسي بوكالة (ناسا) واتضح كذبهم بعد ذلك، بل خرج الدكتور/مرسي لينفي ذلك الأمر بعد انكشافه، وأنه فهم من كلامه الأول عن طريق الخطأ، كما تم تشويه المرشحين المنافسين، وكان أكثرهم عرضة للتشويه الدكتور/عبد المنعم أبو الفتوح، الذي أمضى معظم عمره عضوًا وقياديًا في الجماعة، فتارة يتحدثون على وسائل التواصل عن الإسلام العلماني الذي سيأتي به أبو الفتوح، وتارة أخرى أنه قادم لحل الجماعة، والأخت التي تلبس الحجاب الآن لن تستطيع ارتداءه لو فاز أبو الفتوح، بل أخبرني بعض مؤيدي الإخوان عن سيديهات كانت توزع لتشويه الرجل، وللأسف هذا التشويه يتعرض له كل من خرج من الجماعة فنافسها أو انتقد منهجها.

وفي مرحلة الدعاية ظهر جليًا الخطاب المزدوج لدى مرشح الجماعة؛ لجذب الأصوات من جميع الاتجاهات، فتارة إسلامي سلفي لينال أصوات السلفيين، وتارة ليبرالي علماني، ومرة الحديث عن ضرورة تطبيق الشريعة، ومرة أخرى الشريعة مطبقة بالفعل، ولا فرق بين عقيدة المسلمين والمسيحيين بل هو خلاف ديناميكي فقط.كما تم استخدام المساعدات التي تقدمها الجماعة للفقراء، وهي في الحقيقة ليست من أموالها، بل هي أموال يقدمها من يثقون في الجماعة من عوام الناس لتوصيلها للفقراء، تم استخدامها في جلب الفقراء للتصويت لمرشح الجماعة.

كل ذلك حدث أمامي فتأكدت من صواب موقفي في مفارقتها، وكنت أتساءل داخل نفسي: كيف لجماعة تستخدم كل هذه الأكاذيب والتشوية لسمعة الأخرين، كيف لها أن تصف نفسها بالربانية؟! وكيف يمكن أن يُمَكَّن لها يومًا؟

فشل الدكتور عبد المنعم في المرحلة الأولى من الانتخابات، ووصل لمرحلة الإعادة مرشح الجماعة ومرشح الفلول كما كان يطلق على أتباع الحزب الوطني والدولة العميقة وقتها، وكان عليّ أن أختار مجبرًا بين

مرشحين غير مقتنع بأحدهما، ولكني كنت مقتنعا وقتها بأن دولة قامت بها ثورة لا ينبغي لشعبها أن يأتي برئيس من نفس النظام التي قامت الثورة عليه، ومن ثم قمت بالدعاية لمرشح الجماعة والتصويت له، فكنت واحدا من (عاصري الليمون) كما أطلق على من هم في موقفي حينذاك.

صبحي صالح وفكر الجماعة

بعد الثورة وظهور الجماعة كأكبر قوة سياسية على الساحة، شعر الإخوان أن مرحلة التمكين قد حانت، وأظهروا من فكر الجماعة ما عمدوا إلى إخفائه عن الناس لسنوات طوال، وخاصة فكرة استعلاء الجماعة على غيرها، أو أنها الطائفة المؤمنة المنوط بها إعادة الإسلام إلى الحياة.

أثناء الاشتباكات التي حدثت في الإسكندرية بين الإخوان وشباب الثورة، تم الاعتداء على القيادي الإخواني/صبحي صالح، وحمل إلى إحدى المستشفيات مصابًا، وقد أجرت معه قناة (25) التابعة للجماعة حوارا كان مما قاله فيه بكل ثقة وثبات: اللهم أمتني على الإخوان.

اخترقت هذه العبارة أذناي ولكني لم أقبلها لا عقليًّا ولا شرعيًّا، وتساءلت: كيف يساوي بين الفكرة البشرية أو الفهم البشري للدين _وهو فهم قد يتطرق إليه الخطأ والنسيان_ وبين الوحي الإلهي المعصوم من ذلك ؟! ثم أفاجأ بأن أعضاء الجماعة تجري على ألسنتهم نفس العبارة، ولم يستنكرها أحد منهم كما استنكرتها، فزاد شكي في منهج الجماعة، وبدأت رحلة المراجعة الفكرية، بعدما عشت زمانا أحسب منهج الإخوان أشمل وأصوب المناهج في فهم الإسلام.

واستدعت هذه المقولة مقولات أخرى له، رأيتها على نفس النمط من الاستعلاء، عندما تساءل في أحد المؤتمرات: ماذا لو لم يكن هناك جماعة الإخوان؟ ثم أجاب: لقلنا رحم الله الإسلام! وهي عبارة تنم عن استعلاء وتعصب وغباء؛ لأن الإسلام وجد منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا من الزمان، وتعرض المسلمون لأحداث وأزمات أخطر مما تعرض له في زمان الإخوان، ولم يؤثر ذلك في الإسلام بالضعف؛ لأنه المنهج الإلهي المحفوظ من قبل الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ربما أضعفت هذه الفتن والأزمات المسلمين في أزمنة عديدة، ولكن الإسلام يظل حاملًا في طياته قوة ذاتية، قادرة على اختراق القلوب حتى في أضعف حالات وأزمنة

المسلمين. ثم تجد صبحي صالح أيضًا، يخطب في شباب الجماعة، طالبًا منهم الزواج من فتيات الجماعة لا غيرهن، فهن مكتملات الإيمان بانتمائهن إلى الجماعة، بينما غيرهن مهما اتصفن بالعفة والإيمان فيبقى الخلل عندهن في عدم انتمائهمن للجماعة فيقول موجها حديثه للشباب: "أخ يعمل فيها فلوطة ويقول لي: أنا سأتزوج فتاة من خارج الجماعة ثم أضمها إلى الجماعة بعد ذلك. أرد عليه وأقول له: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير".. انتهى كلامه.

فشباب الجماعة أفضل من غيرهم من الشباب، وفتيات الجماعة أفضل من غيرهن من الفتيات، ولو اتصفوا أو اتصفن بأفضل الأخلاق، فيظل عدم انتمائهم للجماعة حائلًا بينهم وبين اكتمال الإيمان!

إذا فالجماعة تظن أنها جماعة المسلمين، لا جماعة من المسلمين كما تدعي، ولو ظنت أنها جماعة من المسلمين ما ظهر لديها كل ذلك الاستعلاء، ولعملت بقوله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبقوله سبحانه: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى).

أزمات الجماعة فى عام الرئاسة

استطاعات الجماعة بآلتها الدعائية أن تنتصر في معركة الرئاسة، ووصل الدكتور مرسي للمنصب على الرغم من كونه احتياطيًا لخيرت الشاطر، غير أن الناس تنتخب الجماعة لا مرشحها، لما لها من تأثير وانتشار، أو بالأحرى لما للدين من تأثير بين الجماهير، وكل من سيستخدم الدين مطية لتحقيق مآرب سياسية، يستطيع للأسف خداع الجماهير، ومن هنا تستطيع فهم مقولة/ صبحي صالح القيادي الإخواني: لو رشح الإخوان كلبا لاستطاع الفوز بالانتخابات.

وعلى الرغم من تعبير النتائج عن حالة الاستقطاب والانقسام الحادثة في المجتمع، حيث لم تتعد نسبة الفوز 52% من أصوات الناخبين، إلا أن الدكتور مرسي استطاع أن ينال رضا الكثير من معارضيه في أول شهرين من رئاسته، ولكن ذلك ما لبث أن زال، بعدما خرج في أول خطاب له بعد المائة يوم الأولى من رئاسته، مدعيًا أنه استطاع أن يحل أزمات قد وعد بحلها بنسب كبيرة، وكان ذلك كذبا واضحا، حيث ما زال

انقطاع الكهرباء مستمرًا بالساعات الطويلة يوميًا، وكذلك أزمة رغيف الخبز، والوقود الذي تقف له السيارات طوابير طويلة تنقضي خلاله الساعات؛ من أجل الحصول عليه، وكذلك أنبوبة الغاز الغير متوفرة، خاصة في المناطق الفقيرة، ربما كانت الجماهير لتصبر على الرئيس لو صارحها بالأمر، أما وقد خرج الرئيس يكذب عليها، فإن سخط الجماهير بذلك قد ازداد، وزال أملها في حل الأزمات.

حاولت الجماعة مناصرة الرئيس، فكانت توزع الدعاية والملصقات التي تدعي فيها حل تلك الأزمات، ولكن واقع الناس المعاش كان يكذب الجماعة ورئيسها.

انفض الناس من حول الجماعة، وأصبحت تعيش أشد أزماتها بالرغم من أنها في شدة الحكم، فقد شاهد الناس ضعفًا في إدارة البرلمان، وقلة وعي بالأولويات، فاهتموا بقوانين ليست مهمة للمواطن وتركوا ما هو ضروري وملح، وشاهد الناس أيضًا ضعفًا في مؤسسة الرئاسة، واستمرار محاولات أخونة المؤسسات، والصدام الحادث بين الجماعة والقوى الثورية، بعدما نقضت الجماعة كل ما وعدت به في مؤتمر (فيرمونت).

كذبت الجماعة في ترويجها لمشروع (النهضة) ولم يكن في حقيقة الأمر إلا خيوطًا عريضة، لا تفاصيل لها، قادرة على التحقق على أرض الواقع، فقد رأيت بأم عيني أعضاء الجماعة ينزلون إلى الناس في الشوارع يطلبون منهم مقترحاتهم لحل مشكلة القمامة، وكذلك رغيف الخبز، فقلت لهم وأين مشروع النهضة الذي بنيتم عليه دعايتكم، وقلتم للناس إنه سيحل جميع مشاكلهم؟!وبالطبع لا

إجابات بل تبريرات تربى عليها أفراد التنظيم.

في ظل حالة المعاناة التي يعيشها الناس، إذ بالرئيس/ محمد مرسي يفاجئ الجميع بإعلان دستوري، يعطيه صلاحيات الإله، ويحصن قرارته ضد الملاحقة القضائية، إعلان اعترف بعض مستشاري الرئيس بعدم علمهم به، وأن أحدا لم يستشرهم فيه، وأن الإعلان وضعته لجنة من حزب الحرية والعدالة، مما تبعه استقالات لبعض نواب الرئيس.

وقادت (جبهة الإنقاذ) الجماهير المعترضة في الشارع، وحدثت مواجهات عنيفة بين مؤيدي الجماعة، ومؤيدي الجبهة المعترضين على هذا الإعلان الدستوري، ونقلت شاشات الفضائيات هذا العنف

المتبادل في أماكن كثيرة، كان أشهرها ما حدث من عنف لمؤيدي الجماعة ضد المعتصمين عند قصر الرئاسة في الاتحادية، وحدثت إصابات وقتل من الطرفين، وشاهد العالم عنف أتباع الجماعة في مواجهة المعتصمين، وتبع ذلك حرق لمقرات الإخوان فى بعض المحافظات، واشتد السخط على الجماعة، وأصبح لسان حال أفرادها يقول: ومالنا بكل ذلك؟! نادمين على قرار الترشح الذي اتخذه مجلس شورى الجماعة، ولكن فات وقت الندم وعلى الإخوان المواجهة والدفاع عن الشرعية، ومقرات الجماعة والحزب.

لقد خاصم الإخوان جميع فئات المجتمع: القضاء، والأحزاب، والأزهر، والكنيسة، بل والمؤسسة العسكرية، وارتكبوا من الأفعال ما جعلهم في خصومة مع كل هؤلاء.

_ مع الأزهر: حدثت مظاهرات في جامعة الأزهر؛ مدعين حدوث تسمم لبعض الطلاب، وعلا الهتاف بإقالة شيخ الأزهر، بل و سموه (بابا الازهر).

_مع القضاء: اتخذ الإخوان من رئيس نادي القضاة المستشار/ أحمد الزند، وكذلك عضوة المحكمة الدستورية العليا المستشارة/ تهاني الجبالي مادة للسخرية والشتم، وجعلوهما أيقونات لفساد القضاة كما يدعون، كذلك حاصروا المحكمة الدستورية العليا، وعطلوها عن الانعقاد.

_ مع الكنيسة: لأول مرة تتعرض الكاتدرائية المركسية بالعباسية للاعتداء، وإلقاء المواد الحارقة بداخلها.

_ مع الأحزاب: خصومة بين الجماعة والأحزاب السياسية متمثلة في (جبهة الإنقاذ) بل واستخدام العنف ضد اتباعها، كذلك الخصومة مع حزب النور، وخاصة بعدما تحدث الحزب عن أخونة

الجماعة لمؤسسات الدولة، وصلت هذه الخصومة إلى التخوين، والاتهام لقادة الحزب بالردة عن الإسلام.

_مع المؤسسة العسكرية: صدرت تصريحات ضد المؤسسة العسكرية في الاجتماعات المغلقة، من قبل بعض قادة الجماعة، وتم

التحذير من قبل المؤسسة من خطورة مثل هذه التصريحات، و المطالبة بعدم تكرارها.

_مع الإعلام: تم حصار مدينة الإنتاج الإعلامي، وتهديد الإعلاميين، وكذلك التهديد بغلق القنوات ومحاسبة مالكيها.

في ظل هذه الحالة من الاحتقان الواضح، والذي يمثل خطرًا على تماسك الدولة، حاولت القوات المسلحة أن تجمع كل هذه الأطراف المتصارعة في مؤتمر للمصالحة، وبعدما وافقت مؤسسة الرئاسة على انعقاد المؤتمر، جاءت الأوامر من مكتب إرشاد الجماعة بإلغائه، بعدما وصلت الدعوات لجميع أطراف الأزمة، وذهبوا إلى المؤتمر صباحا ففوجئوا بإلغائه، مما زاد من حالة الاحتقان بين المؤسسة العسكرية والرئيس، والتي اجتمع قادتها به ووضعوا النقاط على الحروف، وظهر الرئيس بين قيادات المجلس العسكري خائفًا مذعورًا.

ساعد الغضب الشعبي على الرئيس والجماعة على نشأة حركة (تمرد)، وزادت من نشاطها بين الجماهير، واستطاعت جمع ملايين

التوقيعات الموافقة على النزول في مظاهرات يوم الثلاثين من يونيو، ومطالبة الرئيس بانتخابات رئاسية مبكرة.

كانت دعوات الحركة تواجه بالسخرية والاستهزاء من الجماعة ومؤيديها، والتقليل من قدرتها على الحشد، ثم بالتهديد بعدما شعروا بجديتها، وسمعنا صفوت حجازي يهدد قائلًا: من يرش مرسي بالمياه سنرشه بالدم.

لم تدرك الجماعة خطر حركة تمرد إلا متأخرًا، فكانوا يتوقعون فشلها الذريع في حشد الجماهير، لكن ما حدث يوم 30 يونيو كان مفاجئًا، الملايين في ميادين المحافظات، لا في ميدان التحرير ففط، لم أكن مشاركًا في هذه المظاهرات، ولكنني عندما رأيت الملايين في الميادين، أدركت أنهم أكثر ممن ثاروا ضد مبارك وكنت واحدًا منهم، وأدركت أن شمس الإخوان قد أذنت بالمغيب.

كانت الجماعة ومن يساندونها في غيبوبة مما حدث، المفاجأة شلت عقولهم، وجعلتها غير قابلة لتصديق ما يحدث، حتى ظن أفراد الجماعة أن مهلة الأسبوع ثم الثماني والأربعين ساعة التي منحها المجلس العسكري، ظنوها موجة لقادة جبهة الإنقاذ، وليست للرئيس وجماعته، وسمعت

من أعضاء الجماعة عن فرقة الثلاث سبعات التي ستنزل لتفض هذه الميادين من الجماهير المطالبة بانتخابات رئاسية مبكرة!، كنت أضحك من هذا الكلام، ويعجبون هم من عدم تصديقي لهم.

لقد شاهدت فرحة الناس لبيان الجيش يوم الثالث من يوليو، والذي قرر فيه عزل الدكتور مرسي، كنت يومها خارجًا من المسجد بعد صلاة العشاء، فإذا بالزغاريد تنطلق من الشرفات، ورأيت فرحة الناس في الشوارع، أكثر مما رأيته من فرحة الناس بتنحّي مبارك.

في الإسكندرية حدثت مواجهات بين مؤيدي الجماعة ومعارضيهم، وكذلك بين مؤيدي الجماعة وقوات الأمن، سقط فيه قتلى ومصابين من الجانبين، وأذكر أني قد حضرت جنازة أحد الإخوان الذين قتلوا في أحداث (سيدي جابر) وكانت جنازة حاشدة، رأيت فيها بعضًا من شباب الجماعة يرتدون أكفانًا، ويتعاهدون على التضحية بالروح في سبيل (الشرعية)، واستمعت إلى كلمة القيادي الإخواني في الجنازة، فأدركت أن الجماعة قد دخلت طريق اللاعودة، وأن رهانهم على الحشد ودعم الخارج سوف يسلبهم كل شيء، وأنهم سيستخدمون العنف، ويعودون إليه.

الاعتصام فى ميدان رابعة

عندما نزلت الجماهير الغاضبة إلى ميدان التحرير، اختارت الجماعة وحلفاؤها الاعتصام في ميدان (رابعة العدوية)، وقد بدأت الجماعة الإسلامية الاعتصام، ثم انضمت إليها جماعة الإخوان وداعموها من التيارات (السلفية) على اختلاف توجهاتها ومشاربها، كانت الدعوات إلى الحشد تنطلق من المساجد التابعة لكل هذه التيارات، بل ومن قنواتها الفضائية، التي كانت تهيج مشاعر الجماهير، وتحشدهم للاعتصام ومواجهة المعترضين الذين قرروا النزول يوم الثلاثين من يونيو، وحقيقة الأمر أن قنوات مثل: (الحافظ - الناس - الحكمة) لم تقدم خطابًا إسلاميًا وسطيًا بقدر ما قدمت خطابًا سياسيًا مبتذلًا، ولا تستغرب عندما كنت تسمع على شاشتها سبابًا

وشتمًا، وخوضًا في الأعراض، وشحنًــا للنفوس، وتهييجًــا للمشاعر، بعيدًا عن أي خطاب دعوي أو سياسي يحترم عقلية المشاهدين.

تم دعوتي من بعض الإخوان إلى الاعتصام في رابعة، وقيل لي وقتها: لا ينبغي أن يفوتك هذا الاعتصام الذي فيه نصرة للإسلام والمسلمين، وكان ردي: لو أعلم أن الاعتصام فيه نصرة للإسلام لسبقتكم إليه، كانت الرؤية قد اتضحت لي، ورأيت أن الأمر لا يعدو كونه صراعًا من الجماعة للحفاظ على كرسي الحكم، على حساب دماء المؤيدين لها والمخالفين على السواء، بل ربما على حساب الوطن بأكمله، ومن هنا جاء رفضي للمشاركة في الاعتصام، بل ومعارضة المعتصمين.

كانت مصر كلها تشاهد الاعتصام على الهواء، يأسر قلوبهم مشهد المعتصمين وهم يصلون التراويح في رمضان،

وتنقل الشاشات كل الصلوات والفعاليات، فيزداد التعاطف مع المعتصمين ومطالبهم.

استحوذ الاعتصام على مشاعر الناس وعواطفهم، وقسمت البلاد إلى فسطاطين عند الكثير منهم، فسطاط إيمان في رابعة، وفسطاط كفر في الميادين الأخرى، وهكذا أراد الإخوان ونجحوا فيه مؤقتًا، وهنا لابد أن يشار بالبنان إلى موقف الدعوة السلفية وحزبها (النور) الذي أدرك ذلك الخطر الذي يسعى إليه الإخوان وداعموهم، فكان موقفه المشرف في الوقوف مع الدولة ومؤسساتها يوم الثالث من يوليو؛ ليبطل هذا التقسيم الخطير الذي أرادته جماعة الإخوان.

لقد استمعت وغيري إلى خطاب تكفيري لكل المخالفين، واستدعاء آيات نزلت في المشركين وإسقاطها على المخالفين، تكفير لوزير الدفاع وقادة الجيش!، تكفير لشيخ الأزهر! وحكم

بالردة على قادة حزب النور ومشايخ الدعوة السلفية! تهديد للمخالفين من قبل صفوت حجازي، وعاصم عبد الماجد الذي كانوا يلقبونه ب (أسد الميدان) يستدعي مقولة الحجاج بن يوسف الثقفي؛ ليهدد المخالفين قائلا: إني أرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وإني لقاطفها، ثم استدعاء للطائفية وتهديد للمسيحيين الذين نزلوا الميادين ضد الرئيس.

تم تخدير الشباب المعتصمين بأوهام و رؤى وأحلام، هذا أخ رأى جبريل في ميدان رابعة، وللأسف يعلن ذلك من شيخ أستاذ دكتور في التاريخ الإسلامي مع تكبير المعتصمين، ولم يعطِ أحدهم نفسه فرصـــة لاستخدام العقل، وأي عقل في مكان لا يحتمل إلا العواطف الجياشة، وإن استخدمت العقل وقتها يتم اتهامك بالتخوين والتثبيط، ثم تروى رؤيا أخرى بأن الدكتور مرسي قد تقدم فصلى بالنبي _صلى الله عليه وسلم _! وهي رؤيا

إن صحت فإنها تدل على أن الدكتور مرسي صاحب بدعة، فلا يتقدم على النبي في الرؤيا أحد إلا كان صاحب بدعة في الحقيقة، هكذا قال المفسرون، و إذا طالت مدة الاعتصام فلا بد من تجديد الأمل وخداع المعتصمين، فيعلوا الهتاف: (يوم الجمعه العصر، مرسي راجع القصر)، ثم استعداء وتحدي لقوات الشرطة والجيش في قدرتها على فض الاعتصام.

لقد استدعى الإخوان كل قوتهم إلى الحشد في هذا الاعتصام، رجالًا ونساءً وأطفالًا، بل هناك من وجد في الاعتصام فرصه لتوفير المأوى والمأكل والمشرب، فذهب إليه دون أن يكون على معرفة بالقضية من الأساس.

كان قرار فض الاعتصام قد أجل أكثر من مرة؛ نظرًا لأن الوقت يوافق شهر رمضان المبارك ومن بعده عيد الفطر، لقد صبرت الدولة ثمانية وأربعين يومًا حتى قررت فض الاعتصام بعد

ما أيقنت خطورة استمراره، ومحاولة الجماعة من خلاله إيجاد شرعية لها تنازع شرعية الدولة، فيبدو الأمر نزاعًا بين شرعيتين، يستطيع الإخوان من خلاله دعوة الدول الكبرى بالتدخل، خاصة وأن استدعاء واستعداء الغرب كان حاضرًا في الاعتصام بقوة.

لقد صرح قادة الاعتصام أكثر من مرة أن الدولة لو قررت فض الاعتصام بخراطيم المياه فقط لنتج عن ذلك قتلى وإصابات كثيرة، وكانوا يراهنون على استخدام نتائج الفض في إحداث مظلومية يخاطبون بها الدول الغربية وهو ما نجحوا فيه في عقود سابقة، لذلك لا تتعجب حينما تجد القيادي الإخواني/ صلاح سلطان يتحدث من فوق منصة رابعة باللغة الإنجليزية بدلًا من العربية في كثير من أوقات الاعتصام.

هل كان الاعتصام مسلحًا؟

حاول الإخوان إيهام الداخل والخارج بسلمية الاعتصام، وعلا صوت المرشد من فوق المنصة "سلميتنا أقوى من الرصاص"، والحقيقة التي شاهدتها من الفيديوهات المصورة، عن طريق الطائرات المسيرة، أن هناك أفرادًا وإن كانوا قليلي العدد كانوا مسلحين، بل واعترف لي أحد المعتصمين بعد ذلك أن الحرس الخاص لقادة الاعتصام كانوا مسلحين، بل وصرح بأن مظاهرات الإخوان التي كانت تخرج من الاعتصام كان يـؤمّنها أفراد مسلحون، وتكفي في هذا المقام شهادة (أحمد المغير) وهو أحد أعلام الاعتصام في ميدان رابعة، عندما اعترف بأن الاعتصام كان مسلحًا، وبه سلاح يستطيعون به صد قوات الجيش والشرطة، ولكن أحد قيادات الإخوان أمر بإخراج

السلاح من الميدان قبل فض الاعتصام بيوم، متهما هذا القيادي بالخيانة...

أسقط في يد الجماعة، وحاول إعلام الجماعة أن يراجعه في شهادته، ولكنه أصر عليها ولم ينفها.

لقد كنت في موقفي من الاعتصام وحيدا، أشعر بالغربة في مجتمع كل من فيه يعرفني وأعرفه، كنت أرى الاعتصام مخالفًا للشريعة، خاصة بخطاب التكفير فوق منصته، وبمحاولته تقسيم المجتمع، وإحداث فتنة بين عنصريه، وكنت أشبهه باعتصام الخوارج في(حروراء)، بينما من حولي يؤيد الاعتصام، ويرى أن فجر دولة الإسلام آذن بالظهور! كما كانوا يعبرون.

هذا الموقف أفقدني أصدقاء كثيرين، بل أثر على علاقاتي مع أسرتي وعائلتي، لقد تعرضت لابتزاز نفسي رهيب، وسوء ظن

من كل من حولي، فأمام كل أحداث يسقط فيها قتلى من الإخوان وداعموهم ينظر إلي من حولي وكأني المسؤول عن قتلهم، حتى أني كنت أغلق علي باب غرفتي، وأنفجر باكيًا من هول ما أتعرض له من ضغوط، وكان لساني يلهث وقتها، وبعدها بسنوات بثلاث دعوات:

الأولى: اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

والثانية: اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والثالثة: اللهم لا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا.

كنت أجد لتلك الدعوات أثرا في تثبيت الله لي، عن طريق سماع أو قراءة حديث للنبي يؤيد موقفي، أو رؤيا جميلة تفسيرها يدخل الطمأنينة إلى نفسي، وكان قمة ذلك بأن أرى النبي _صلى

اللهعليه وسلم_ يمنحني جائزة في الرؤيا وأنا في الحرم المكي، ويحتضنني_صلى الله عليه وسلم_وأنا أبكي على صدره.

كانت كل المؤشرات تشير إلى أن الدولة عازمة على فض الاعتصام، وكنت في نفسي أرى أنه كلما استمرت وطالت أيام الاعتصام، كانت فتنة فضه أشد والضحايا أكثر، كنت أتمنى أن يفض الاعتصام بلا ضحايا، خاصة وأنا أعلم بحجم الخداع الذي تعرض له المعتصمون من قبل الجماعة، وأنهم سيدفعون الثمن ولا ذنب لهم، إلا أنهم صدقوا هؤلاء القادة الكذبة فوق المنصة، وفي مكتب الإرشاد، وكل المؤشرات تبين أن الجماعة ومن تحالف معها يريدونها مذبحة، يستغلونها ضد الدولة دوليًّا، ويصنعون بها مظلومية يتاجرون بها، ويستدعون بها القوى الغربية لإعادتهم إلى الحكم، خاصة وقد خرج الشيخ/ محمد حسان متحدثا عن الوساطة التي يقوم بها مع بعض العلماء من

أجل وئد الفتنة، ولكن كلامه قوبل بتصعيد شديد على منصة الاعتصام، وزاد الهجوم على وزير الدفاع والمجلس العسكري، والرئيس/ عدلي منصور، فتأكد لي إصرار الجماعة على إحداث المذبحة.

فض الاعتصام وما تبعه من عنف

في صبيحة يوم الرابع عشر من أغسطس عام 2013 ميلاديا بدأ فض قوات الشرطة للاعتصام، سيارة للشرطة عليها مكبر للصوت تنادي في المعتصمين بضروره إخلاء الميدان، و تحدد لهم ممرات آمنة يستطيعون الخروج منها آمنين على أرواحهم، وفوق المنصة قادة الاعتصام ينادون المعتصمين بالثبات و مقاومة القوات، ثم استخدام المعتصمين للسلاح الذي تواجد معهم، وأظهرت الفيديوهات المصوّرة المعتصمين وهم يتحركون بالسلاح في الميدان، و يطلقون النار على قوات الأمن من خلف السواتر التي أقاموها في الميدان، مما أدى إلى استشهاد بعض قوات الشرطة، وتبع ذلك مبادلة القوات لإطلاق الرصاص مما أدى إلى مقتل المئات سواء في رابعة أو النهضة، وكان العنف في رابعة أشد بمراحل كثيرة، نظرًا لكثافة أعداد المعتصمين، وصغر مساحة المكان، وهو الذي استغرق وقتا مع قوات الأمن.

والحديث هنا ينبغي أن يكون عن المتسبب في هذه المذبحة، وهناك قاعدة شرعية هامة تتحدث عن السبب والمباشر في جرائم القتل، فمثلًا: إذا كان هناك طباخ يُعد الطعام لملك من الملوك، وبعدما أحسن إعداد الطعام وضع فيه السم، فأخذه شخص لتقديمه للملك، ووضعه أمام الملك ليأكل، فتناوله ومات على أثره، فالقاتل هنا(السبب) وهو الطباخ وليس (المباشر) الذي قدم الطعام، بينما لو تم حفر حفرة في الشارع، وأثناء مرور الناس في الشارع قام شخص بدفع آخر نحو الحفرة فوقع فيها ومات، فإن القاتل هنا هو (المباشر) الذي أوقع الشخص في الحفرة، وليس (السبب) الذي حفرها، ومن خلال هذه القاعدة نستطيع أن نحدد من المسؤول عن القتل في رابعة؟

هل هم المتسبب في بقاء المعتصمين، وهو يريد المتاجرة بدمائهم(السبب)، أم قوات الأمن (المباشر)؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من الإجابة عن عدة أسئلة، وهي:

هل كان الاعتصام في رابعة والنهضة شرعيا؟ وهل ما كان يقال على منصته من تكفيرجائزًا؟ ألم تحذر الدولة وتنبه إلى

ضرورة فض الاعتصام؟ ألم تصبر الدولة على المعتصمين ثمانية وأربعين يوما؟ ألا يمثل استمرار الاعتصام خطرًا داهمًا على الدولة؟

هل كانت الدولة تستطيع أن تفض الاعتصام بلا ضحايا، والجماعة تعمل على إحداث المذبحة للمتاجرة بالدماء؟!

هناك الكثير من التفاصيل في عملية الفض لا ندري عنها شيئًا، ولكن الإجابة على هذه الاسئلة ربما تبين لك مَن مِن طرفي النزاع كانت مصلحته في حدوث المذبحة؟

ولا يمكن أن تكون الدولة بالطبع، خاصة وأنه قد استخدمت عملية الفض ضد الدولة في المحافل الدولية ومنظمات حقوق الانسان، بل ومع الإدارة الأمريكية نفسها، وتم استخدام عنف شديد من الجماهير المؤيدة للجماعة والغاضبة ضد قوات الشرطة في كرداسة وكذلك العدوة بالمنيا وغيرها من الميادين، قُتل على إثرها عدد كبير من رجال الشرطة.

طبعًا ما سردته من معلومات لم يكن قد انكشف في يوم الفض، وأذكر أني قد أصابني الحزن الشديد على الضحايا من

الجانبين، وخاصة المغرر بهم من قبل الجماعة، والذين استخدمتهم؛ لتتاجر

بدمائهم، وأيضًا قوات الشرطة التي ما كانت تتمنى أن تقع ضـحـيـة على يد هؤلاء، أو يسقط قتيل من المعتصمين على أيديهم.

لقد استخدمت الجماعة كل وسائل الحشد منذ فض الاعتصام، واستمرت الآلة الإعلامية للجماعة كل الأكاذيب من أجل التحشيد ضد الدولة، وحدث عنف شديد منها في تظاهراتها، سواء في الجامعات أو الميادين أو الشوارع، وتبادلت العنف مع المؤيدين للدولة في كثير من الأماكن، وسقط كثير من القتلى نتيجة ذلك العنف، وأصبح مشهد انفجار القنابل هو السائد في المجتمع، ونقلت كاميرات المراقبة هذه المشاهد، والآلة الإعلامية للجماعة تنسب هذه التفجيرات إلى الأجهزة الأمنية! وآمن بذلك معظم مؤيديها! أما أنا فقد أصابتني الحيرة لبعض الوقت، ولكنني كنت على يقين أن الطريق الذي اختارته الجماعة، لابد أن تعود معه لاستخدام العنف، وقد حدثتُ يومًا أحد أعضاء الجماعة بهذا الأمر، فأكد لي ما توقعته، وتأكد لي ذلك بعد

تصريح القيادي الإخواني/ محمد البلتاجي: إن ما يحدث في سيناء من تفجيرات وعنف سيتوقف في اللحظة التي يعود فيها الرئيس مرسي إلى كرسي الحكم، تصريح وإن دل على الغباء السياسي، فهو يدل أيضا على التحالف القائم بين الإخوان وجماعات التكفير والعنف في سيناء، وإن كان تحالف مصالح، وليس للإخوان السيطرة على تلك الجماعات.

تأكدت من صواب ما كان يتحدث به بعض الإخوان من اعتمادهم على جماعات التكفير والجماعة الاسلامية كذراع مسلح للجماعة، خاصة بعد مشاهدتي لإعلامها يسرع فينسب أي عمل تخريبي،

أو قتل لرجال الجيش والشرطة في سيناء وغيرها، إلى أجهزة الأمن المصرية، أتذكر كيف تم نسبة العملية الإجرامية ضد قواتنا في كرم القواديس إلى النظام المصري! و خرج الشيخ السلفي/ محمد عبدالمقصود على قناة رابعة، يقسم بـالله على الهواء مباشرة أن هؤلاء الجنود والضباط القتلى، تم قتلهم في ليبيا! وأن النظام أتى بهم ووضع جثثهم في كرم القواديس! ويشاء

المولى - عز وجل- أن يبين كذبه سريعا، فبعد حوالي ساعة من حلقته تذيع قناة الجزيرة فيديو من (أنصار بيت المقدس) على شاشتها يعلنون فيه مسؤوليتهم عن العملية، ويظهر فيه مقاتلوها وهم يقتحمون الكمين ويمثلون بجثث الجنود.

لقد استخدمت الجماعة حديث (الحرب خدعة) في تمرير الكذب وشرعنته، بل وشرعنت الفحش والبذاءة في كثير من الأحيان، وأصبح استخدام كلمات بذيئة معينة (ماركة مسجلة) على ألسنةأعضائها ومؤيديها، لقد نقلت الكاميرات مشاهد لطلبة الجامعات وهم يسيئون إلى أساتذتهم، ويمنعونهم من دخول قاعات المحاضرات، ونقلت مشاهد تفريغ الطلاب بنزين السيارات في زجاجات المولوتوف، وكيف كانت بنات الجامعة ينقلن زجاجات المولوتوف إلى الشباب؛ لاستخدامها ضد قوات الأمن، ومشهد لطالب مصاب لا يستطيع الحركة، وطالبة منتقبه تأتي وتقول في وجهه: اللهم أسل دماءنا حتى ترضى، فأدركت وقتها أننا أمام عودة جديدة للخوارج وإثارتهم للفتن في مجتمعات المسلمين.

رؤيتى للإخوان فى هذه المرحلة

أثناء اعتصام رابعة شعرت أن كرسي الحكم والوصول إليه أصبح دينًا عند الجماعة والمتحالفين معها، وكانت وجهة نظري وقتها أن الإخوان جاءتهم الفرصة لفض أيديهم من خطأ الترشح لمنصب الرئاسة، ويعودوا أبناء لهذا الوطن، ويحافظوا على ما بقي من رصيدهم عند الجماهير، بعدما تحولوا في سنة حكمهم إلى أعداء لمعظم فئات الشعب، و تخيل معي ماذا قد يحدث عندما تخرج الجماعة ممثلة في رئيس الجمهورية فيقول في خطاب لجماهير الأمة: إنه قبل بانتخابات رئاسية مبكرة، وإن الإخوان لن يترشحوا لها ثانية، وأنهم أبناء هذا الشعب، وحريصون على مصلحته وحقن دماء أبنائه، تخيل كيف يكون موقف المصريين من الجماعة بعد ما حقنت دماء شعبها، كان هذا موقفي وقتها غير أن الجماعة لم ترد إلا الفتنة، وسفك دماء أبنائها وشعبها على السواء؛ من أجل كرسي الحكم، وكأن الله أراد أن يكشف انحراف منهج الجماعة، وأن علاقتها بالدين ليست إلا وسيلة للوصول إلى كرسي الحكم.

كنت أستمع ذات يوم للدكتور/ ناجح إبراهيم وأعجبتني مقولته: "القائد الحق من يعمل على حقن دماء أتباعه لا سفكها، ويعمل على إخراجهم من السجون لا إدخالهم فيها"، لقد اختار الإخوان

المواجهة مع مؤسسات الدولة وكنت أراها مواجهة خاسرة منذ اللحظة الأولى وحدثت بعض أعضائها بذلك، وقلت لهم: إن التاريخ خير شاهد، فما من جماعة واجهت الدولة وخرجت عليها، إلا كان النصر حليفا للدولة ومؤسساتها، فمهما بلغت قوة الجماعة فهي لا تستطيع مواجهة الدولة والانتصار عليها، بل تؤدي تلك المواجهة إلى هلاكها، وإضعاف الدولة في الوقت ذاته، كما أن رهان الجماعة على انهيار الدولة اقتصاديا، وتهديدها للشركات التي تريد الاستثمار فيها، جعلني أدرك أن شعار (أمل الأمة) و (نحمل الخير لمصر) ما هي إلا شعارات مزيفة، فكيف لمن يحمل الخير لمصر أن يحاربها في اقتصادها ومواردها؟!

العنف فى أدبيات الجماعة

لا تستطيع الجماعة إنكار استخدامها للعنف، فهو موجود في أدبيات الجماعة منذ مؤسسها ومرشدها الأول/ حسن البنا، الذي قال في إجابته عن سؤال: هل في منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ فيقول: وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: "إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء، وسينذرون أولًا، وينتظرون بعد ذلك، ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح".

إذا فالبنا يوضح بجلاء أن استخدام القوة هو وسيلة الإخوان للسيطرة على الحكم، ولكن بعد أن تكون الجماعة قد أعدت له عدتها من جميع النواحي، ثم يقول: "لكن الإخوان المسلمين يعلمون أن أول درجة من درجات القوة، قوة الإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما

قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وإنها إذااستخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال، مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك "

ويوضح البنا أن الوصول للحكم يجب أن يكون بالتدرج والعمل المرحلي الذي ينتهي باستخدام القوة فيقول: "أما التدرج والاعتماد على التربية، ووضوح الخطوات في طريق الإخوان المسلمين، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث: مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة، وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود، وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج ".

ثم يتساءل البنا: "متى تكون خطواتنا التنفيذية؟ ويجيب قائلًا: في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة، قد جهزت كلًّا منها نفسيًا وروحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم

لجاج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: "ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة" انتهى كلامه.

إن اكتمال الكتائب ليس الغرض منه الوصول إلى الحكم عبر صناديق الانتخابات -وإن حدث ذلك في مرحلة من المراحل-، ولكن عن طريق الاغتيالات والتفجيرات، ولذلك كان شعار الجماعة عبارة عن مصحف يحتضنه سيفان، وكتب عليه كلمة (وأعدوا)، ولو كانت الجماعة تسعى لنشر أفكارها بالطرق السلمية، ما احتاجت لوضع سيفين في شعارها، ولكانت استبدلت فعل الأمر (وأعدوا)، وكتبت (وادعوا).

اعترف مؤسس الجماعة ومرشدها الأول بأن الجماعة ستمارس العنف، وتلجأ إلى القوة عندما لا يجدي غيرها، ومن هنا كان تشكيل الجماعة للنظام الخاص، الذي تولى اغتيال خصوم الجماعة السياسي (النقراشي) رئيس الوزراء المصري الذي أصدر قرار حل الجماعة، والقاضي (أحمد الخازندار) الذي أدان الإخوان في إحدى القضايا،

واستمرت الجماعة في استخدام العنف بعد اغتيال البنا، وحاولت اغتيال الرئيس/ جمال عبد الناصر في ميدان المنشية، والتي ما زال الإخوان يخدعون أتباعهم ويسمونها زورا (تمثيلية المنشية)، ولم تتوقف الجماعة عن ممارسة العنف إلا بعدما أعادها الرئيس/ السادات إلى الحياة، محاولًا استخدامها ضد التيار اليساري الذي اشتدت معارضته لسياسته، وعمل مرشدها (عمر التلمساني) على النأي بالجماعة عن ممارسة العنف، وحاول جاهدا الابتعاد بالجماعة عن الجماعات التي تصادمت مع السلطة في ذلك الوقت كـــ(الجهاد) و(الجماعة الإسلامية) ومن خرج من عباءة التيار القطبي كـ(التكفير والهجرة) و(الناجون من النار)، ولم يثبت على الجماعة أن مارست العنف في هذه الفترة، بل وجدت المشاركة السياسية أجدى، فرشحت أعضاءها في النقابات وسيطرت على معظمها، ورشحتهم في الانتخابات النيابية وفازت بمقاعد فيها، وتحالفت مع أحزاب الوفد والأحرار والعمل، وكان أعظم نجاح لها عندما فازت في برلمان 2005 بثمانية وثمانين مقعدا قادت بهم المعارضة في البرلمان المصري.

استطاعت الجماعة في هذه الفترة أن تحقق من الانتشار بين الناس ما لم تحققه في أي وقت سابق، وكانت خاتمة ذلك أن أصبحت عقب ثورة يناير الفصيل الأهم في مصر، والقادر على اكتساح أي انتخابات تجرى فيها، وبالفعل سيطرت الجماعة على الحياة السياسية (نقابات - برلمان - مجلس شورى - رئاسة) مما ساهم في اشتداد العداوة لها من الحركات الثورية، والأحزاب التقليدية بل ومن جماهير الشعب أيضًا، فلما ثارت الجماهير عليها، وعزلتها من سلطتها، عادت إلى استخدام العنف كما استخدمته في خمسينات وستينات القرن السابق.

ثورة يونيو.. وعودة الجماعة إلى العنف

لقد كانت عودة الجماعة لاستخدام العنف حتمية؛ نظرًا لطريق الصدام الذي اختاره الإخوان ضد مؤسسات الدولة، فلا قدرة للأشخاص أن يتحملوا كل هذه المواجهات مع قوات الأمن _ الذي يحتم عليهم واجبهم أن يفرضوا النظام والأمن بالقوة_ دون التفكير في الرد عليه، فتشكلت اللجان النوعية، وتم تجنيد الشباب صغير السن، وما بين معسكرات، وتدريب على استخدام السلاح، ودورات يسمونها (شرعية)! عادت الجماعة إلى سابق عهدها، وعاد النظام الخاص للعمل سرًا، وتشكلت اللجان النوعية (حسم) و(ألوية الثورة) و(العقاب الثوري)، أو ما يسمى (اللجان الكمالية) نسبة إلى القيادي الإخواني وعضو مكتب إرشاد الجماعة/ محمد كمال، والذي يعرف الإخوان أنه المنشئ لهذه اللجان الإجرامية، التي قامت بالكثير من عمليات الاغتيال لقوات الأمن من الشرطة والجيش داخل البلاد.

لقد تم خداع الكثير من حدثاء الأسنان في اعتصام رابعة وقبله، وتم ضمهم إلى الجماعة، وتم استغلال حالة الحماس والغضب لديهم في تجنيدهم في هذه اللجان، وإرسالهم إلى معسكرات في الصحراء، أو خارج البلاد؛ للتدريب على السلاح، وعمل دورات (شرعية)؛ يكفرون فيها كل المتعاونين مع ما سموه (إنقلابًا) لإيجاد شرعية كاذبة لما سوف يرتكبونه من جرائم.

لقد اعترفت قيادات الجماعة بكل ذلك، بعد قتل أجهزة الأمن لقائد هذه اللجان (محمد كمال)، وأرادت إيهام الناس أنه قد شكل هذه اللجان بغير موافقة الجماعة! وأن الجماعة ما زالت على سلميتها!

ولكن الحقيقة أن الجماعة لو كانت بالفعل رافضة لتشكيل هذه اللجان الإجرامية، لتبرأت منها منذ علمها بتشكيلها، أما أن تظل تاركة أعضاء اللجان في عضويتها، ولا تتذكر طردهم من الجماعة أو إقالتهم إلا بعد ثلاث سنوات من تشكيلها، ويظل الحديث عن خلافات داخل الجماعة، فهذا يبين موافقة الجماعة على تشكيل هذه اللجان، دون

الاعتراف بها، فإن نجحت في تحقيق أهدافها فهي من الجماعة، وإن فشلت كان على الجماعة أن تتبرأ منها، وهو ما حدث بعد مقتل قائدها.

وهكذا انقسمت الجماعة إلى جماعتين، واحدة متمسكة بالسلمية، والأخرى اتجهت لممارسة العنف، ولكن الجماعة الأولى ظلت مشجعة للثانية سرًا! تعمي الخبر عن أفعالها وجرائمها! وتنسبها إلى أجهزة الأمن في كذب وتدليس، لم تعرفه جماعات الخوارج لا في القديم ولا في الحديث!

قادة الإخوان يعترفون بجرائم الجماعة

في كثير من الأحيان تسجل أجهزة الأمن اعترافات المقبوض عليهم من أعضاء الجماعة، وتعرضها على شاشات الفضائيات، ولكن الجماعة تشكك في هذه الاعترافات، وأنها جاءت تحت التعذيب والإرهاب، ولذلك لن أذكر هاهنا شهادات للمتهمين تحت طائلة الأجهزة الأمنية المصرية، ولكنني أورد شهادات لقيادات الجماعة من تركيا ولندن وعلى شاشات قنواتهم هناك، يعترفون بها مفاخرين وبكل أريحية وبلا أي ضغوط، ولذلك لا مجال للتشكيك فيها.

أولًا: شهادة القيادي الإخواني في تركيا (عماد صابر) على قناة الشرق الإخوانية، وكانت القناة تعرض مشاهد كمين لقوات الشرطة، تم إطلاق الرصاص عليه من جماعة (العقاب الثوري) وكان ذلك في الخامس والعشرين من يناير عام 2014 الذكرى الثالثة لثورة يناير، والتي دعا فيها الإخوان قواعدهم والمؤيدين لهم؛ للنزول في مظاهرات ضد الدولة المصرية، وأثناء عرض لمشاهد الكمين الذي قتل فيه ستة من رجال

الشرطة، وفي ذروة حماسة شديدة يعترف عماد صابر بأن الإخوان هم (العقاب الثوري)، فترد عليه المذيعة مستنكرة بأن ذلك يعد استخداما للعنف، فيقول لها: إنه ليس عنفا بل حراكًا ثوريًا، طبعًا حذفت القناة الفيديو بعد ذلك.

ثانيا: القيادي الإخواني "أكرم كساب" عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وتلميذ الشيخ القرضاوي، له عبارة مأثورة على إحدى قنوات الإخوان في تركيا قال فيها: "القضاء على قضاة العسكر فريضة دينية وضرورة ثورية" عندما كان يعلق على بعض الأحكام القضائية التي صدرت ضد قيادات الجماعة، وكانت هذه العبارة بمثابة فتوى دينية، ينتظرها أعضاء حسم؛ لتنفيذ عملية قتل النائب العام/ هشام بركات، وبالفعل نفذت الحركة عمليتها الإجرامية، بعد حوالي شهر من فتوى أكرم كساب.

ثالثا: القيادي الإخواني في لندن (أشرف عبد الغفار) تسأله إحدى المذيعات مستنكرة: لماذا تفجر الجماعة أبراج الكهرباء وهي من مقدرات الشعب المصري وليست ملكا للسيسي؟! فيجيب معترفًا: لأن الشعب هو من أتى بالسيسي.

رابعًا: أما (مجدي شلش) مسؤول الإخوان بالخانكة فيقول على إحدى قنوات الجماعة في تركيا: "لقد استبدلنا شعار (سلميتنا أقوى من الرصاص) وجعلناه (سلميتنا أقوى بالرصاص)! ويفخر بإحدى العمليات الإجرامية التى قامت بها حركة حسم، وأن الحركة تمثل الذراع العسكري للجماعة.

وغير ذلك من فتاوى تكفير وتفجير لـ(محمد عبد المقصود _ القرضاوي _ سلامة عبد القوي _ وجدي غنيم).

ليسوا سواء

وهنا لابد أن نقرر حقيقة هامة، وقاعدة قرآنية ألا وهي "ليسوا سواء" تحدث فيها القرآن أن أهل الكتاب ليسوا سواء، ولا يجوز أن يوضعوا جميعًا في كفة واحدة؛ لأن منهم المؤمن ومنهم الكافر، وهي قاعدة أيضًا يجب أن نراعيها عند التعامل مع أعضاء جماعة الإخوان، فمنهم القادة الذين يعلمون بكل ما ذكرته من ممارسات إجرامية، بل ودعا إليها وانحاز لها، ومنهم الغافل، أو تم تغفيله، وما زال يظن في سلمية الجماعة، وربانيتها! ومعظم هؤلاء لم ينضم إلى الجماعة إلا حبًا لدينه، وسعيًا إلى نصرته، لا يعلم عن مؤسس الجماعة إلا أنه الرجل الأمة، الذي قام ينصر الإسلام بعدما غابت شمسه، وربما تعامل مع كلامه وتوجيهاته معاملة الوحي من السماء، ولا يعرف عن سيد قطب إلا أنه الشهيد الذي رفض أن يؤيد/ جمال عبد الناصر ويحفظ مقولته المأثورة "إن أصبع السبابة الذي يسبح لله بالوحدانية في كل صلاة، يأبى أن يكتب كلمة تأييد

لطاغية"، لا يسمع عن الجماعة إلا من قادتها وأعضائها، أما منتقدو الجماعة فهم سحرة فرعون كما قال له مرشده، هؤلاء لا بد أن نقدم لهم يد العون، والعمل على إنقاذهم من غفلتهم، بمراجعات فكرية شاملة، خاصة وهم يمثلون الغالبية العظمى من أعضائها، وتم التلاعب بعقولهم باستخدام عواطفهم نحو دينهم.

عودة الجماعة إلى التكفير

لا شك أن التكفير حاضر عند الجماعة منذ نشأتها، وإن كان خفيًا غير كامل الوضوح عند المؤسس/ حسن البنا، ونستطيع استنتاجه من بعض مقولات البنا، ومن خلال العمليات التي قام بها النظام الخاص ضد الخصوم السياسيين للجماعة، فلا يمكن استباحة دمائهم إلا بعد الحكم عليهم بالكفر، وهاهو البنا في رسالته (إلى الشباب) يقول عن الذين لا يفهمون الإسلام كما يفهمه الإخوان

المسلمون: "وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج، ولا يعمل لتحقيقه، لا حظ له في الإسلام، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها".

هذا التكفير الخفي عند حسن البنا، تجده واضحًا جليًا عند سيد قطب منظّر الجماعة الأول، ورائد فكر التكفير في العصر الحديث، الذي كفر مجتمعات المسلمين، واعتبرها مجتمعات جاهلية من خلال فكرة الحاكمية، التي لم نجدها إلا عند الخوارج الأولين، ولسنا هنا بصدد

الحديث عن أفكار سيد قطب التي فندها الكثير من العلماء قديما وحديثا، ونشير هنا إلى كتاب (الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين)، وكذلك برنامج (الحق المبين) وكلاهما لفضيلة الشيخ العلامة/ أسامة الأزهري، وكلاهما من أفضل الكتب والبرامج التي فندت هذا الفكر المنحرف، لست هنا بصدد الحديث عن هذه الأفكار بقدر التنبيه إلى عودتها مرة أخرى بعد سقوط الإخوان من السلطة، خاصة وأن الكثير من قيادات الجماعة تأثروا بهذه الأفكار القطبية أثناء فترة سجنهم في الستينات، وكان على رأسهم مرشد الجماعة محمد بديع.

لقد عاد التكفير يطل برأسه، على يد قيادات الجماعة ومنظريها، وردد أعضاء الجماعة هذه الأفكار، وصارت الجماعة تعامل المخالفين لها معاملة كفار قريش، فعمليات التفجير تسمى غزوات، ويتم إسقاط آيات نزلت في المشركين على المخالفين للجماعة، والمنتقدين لها، ودعا بعض مشايخهم إلى قتل كل من يتعاون مع السلطة في مصر فضلا عن جيشها وشرطتها، ونالني أنا شخصيًا نصيب من هذا التكفير على يد أحد الإخوان المقربين.

مراجعات فكرية

عندما عايشت كل ما سبق، أدركت الخلل الجسيم في منهج الجماعة، فلا ينبغي الحكم على هذا المنهج القائم على تكفير المخالف، واستباحة الدماء المعصومة إلا بمجافاة الصواب والحق، وفي هذه الفترة قدر الله لي أن أستمع إلى بعض العلماء المخالفين لمنهج الجماعة، والذين لم أكن أصبر على السماع لهم وأنا متعصب لفكر الجماعة، فجذبني حديثهم، وقلت لنفسي: لماذا لا تجلس وتكمل الإنصات؟! فوجدت حديثًا مقنعًا، مؤيدًا بالآية القرآنية، والحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وكل ما عاينته من أحداث يؤيد كلامهم عن الجماعة، أصحاب علم راسخ لم يتغيروا بتغير الأحداث، بل كانوا يحذرون من الفتنة قبل حدوثها، وكأنهم يرونها رأي العين.

النبى يسد أبواب الفتن

رأيت أن النبي الكريم قد وضع منهجًا، ينظم العلاقة بين الحاكم - عادلًا كان أو ظالمًا والمحكومين، منهجًا يمنع الخروج على الحاكم ما أقام في المسلمين الصلاة، حديث عوف بن مالك قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة" رواه مسلم.

وطالما الحاكم ما زال مسلمًا، لم يبح بالكفر، ولم يأت عملًا من أعمال الكفر الواضح غير متأول فيه، فيظل حاكمًا شرعيًا، لا يجوز الخروج عليه، عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: دعانا النبي -صلى الله عليه وسلم- فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان" رواه البخاري.

بل وأمر النبي بالصبر على الحاكم والسمع والطاعة له في المعروف، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني" متفق عليه.

ودائمًا ما يخدع الإخوان أعضاءهم ومؤيديهم بالقول إن الطاعة تكون للحاكم الذي يطبق شريعة الإسلام لا غيره، وهذا كلام يخالف حديث النبي الكريم، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم" متفق عليه.

والأثرة في الحديث: هي استئثار الحاكم بالمال وظلم الرعية فيه، وهذا الأمر من أمور الدنيا، وأمور تنكرونها: قال العلماء: هي أمور منكرة يفعلها الحاكم في الدين، فكيف لمن استأثر بالأموال، وظلم فيها الرعية، وأتى أمور منكرة في الدين، كيف له أن يطبّق الشريعة؟!وأي شريعة هذه التي يطبقها؟!

وما هو النبي الكريم يبينها واضحة جلية، عندما يسأله عدي بن حاتم قائلًا: يا رسول الله، لا نسألك عن طاعة من اتقى ولكن من فعل وفعل فذكر الشر، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا" رواه البخاري ومسلم.

ولا يدعو النبي -صلوات الله وسلامه عليه- بذلك إلى (العبودية) أو الذل كما يروج كثير ممن أصابهم التثور اللا إرادي، وإنما يدعونا إلى نبذ الفرقة، ووئد الفتن في مهدها، وأن الإصلاح يحتاج إلى الصبر، ويبدأ من الفرد نفسه أولًا"... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...." وهذا هو فهم العقلاء لمراد النبي الكريم.

وليس معنى ذلك أيضًا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل تنظيمه، بطريقة فيها إصلاح ورشاد، ومن خلال النصح للحاكم لا السخرية منه في القنوات والمنتديات وغيرها، عن عياض بن غنم الأشعري، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبديه علانية، ولكن يأخذ بيديه، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه" صححه الحاكم والألباني، ويؤيد ذلك

أيضًا الحديث الذي يستشهد به الإخوان ومؤيدوهم بالخطأ على جواز إنكار المنكر علانية، وهو في الحقيقة يؤيد الحديث السابق، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، فالإخوان يتناسون عمدا كلمة (عند) في الحديث، والتي تعني الظرفية، أي: بين يديه لا في غيبته، وهذا الأمر إنما يكون للعلماء وذوي الأفهام والحكمة والخبرات العريضة، في مجالات الحياة المختلفة، دينية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، صحية، علمية.. وغيرها.

إذا فقد أمر نبي الإسلام بالصبر على الحاكم، وجعل مدة هذا الصبر حتى لقياه على الحوض، وحرم الغيبة والنميمة في حقه، كما حرمها في حق غيره من الناس، وأمر بالسمع والطاعة له في المعروف، ونهى عن الخروج عليه بالكلمة والسلاح، وسمى العلماء من يخرجون عليه بالكلمة خوارج قعدة، ومن يخرجون عليه بالسلاح خوارج قتلة، ورأوا أن القعدة

أعظم خطرًا؛ لأنهم يزينون الخروج على الحاكم، ويوغرون صدور العوام في الخروج بالسلاح، فلولا القعدة ما وجد القتلة كما قال العلماء.

وقد روج الإخوان وغيرهم من الحركات الثورية فرية ومصطلح (حكم العسكر)، يحاولون به ربط حكم من له خلفية عسكرية من الحكام بالفشل، على الرغم من أن المصلحين من الحكام لم يأتوا من دولاب الدعوة، بل أتوا من باب السلطة ومن رحم النظام القديم، وكانت لهم إنجازات عبر التاريخ لم يحققها غيرهم، فها هو عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس، يأتي من رحم الخلافة الأموية، ومن الأسرة التي أتت بالحجاج بن يوسف الثقافي واليا على العراق والمدينة، ومن قلب ملك عضوض، فيأتي عمر لينشر العدل، ويحقق الرخاء الاقتصادي وهو الذي لم تتعدَ فترة خلافته الثلاثين شهرًا، وكان صلاح الدين الأيوبي عسكريًا ووزيرًا عند الخليفة الفاطمي العاضد، فيأتي حاكمًا لمصر، ويقضي على جماعة (الحشاشين) خوارج عصره، ويجمع كلمة العرب، وينتصر على الصليبيين في موقعة (حطين) ٥٨٣ هجريًا، ويحرر بيت المقدس من أيديهم، وكان سيف الدين قطز قائدًا عسكريًا من قواد

المماليك، ولما تولى حكم مصر استطاع أن يحطم غرور التتار في (عين جالوت) ويصون حضارة الشرق والغرب على السواء، وكم كان للظاهر بيبرس من إنجازات في الشام ومصر! فقد أذل التتار والصليبيين، وهو صاحب النصر الحقيقي في عين جالوت، وهو أول من قام بتوظيف القضاة لتمثيل المذاهب الرئيسية للشريعة الإسلامية، واهتم بإنشاء المدارس العلمية وتحسين الموانئ والخدمات البريدية، أما في العصر الحديث فقد كان نصر أكتوبر العظيم، على يد الرئيس/ محمد أنور السادات، ابن المؤسسة العسكرية، والذي أعاد بهذا الانتصار سيناء محررة إلى مصر، وهناك نماذج كثيرة عبر التاريخ

تدحض فرية إلصاق الفشل إلى كل حاكم له خلفية عسكرية.

أصبح هذا هو الفكر الذي أنطلق منه وأدعو إليه، وتعجب الكثير ممن يعرفونني، وكذلك تلاميذي من تغير أفكاري وخسرت من خلال ذلك أصدقاء وعلاقات كثيرة، بل في مرحلة مبكرة من مراجعاتي كدت أخسر أسرتي، لولا أنني قد استطعت أن اقنع زوجتي التي تربت في الإخوان طيلة ثمانية عشر عاما بذلك الفكر، وكنت أحدثها عن أكاذيب الإخوان،

وأنصحها بأن تبحث بنفسها عن الحقيقة، وبفضل من الله أصبحنا سويا على هذا الفكر الذي ينطلق من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وقد نالني الكثير من الاتهامات من جانب أعضاء الجماعة، منها: أنني اتخذت هذه المواقف؛ لأنني كنت أسعى إلى منصب ولم تمنحني الجماعة إياه! أو إنني أقفز من السفينة للنجاة بنفسي قبل غرقها! بل ربما يتهمونني بأنني أعمل مع الأمن!

اتهامات معلبة اتهم بها كل من اتخذ موقفا ضد الجماعة، وينسى هؤلاء، أو يتناسون أنني الذي رفضت الانضمام للتنظيم بعد يناير، وقد طالبتني الجماعة بذلك أكثر من مرة، ويتناسون أيضًا أن مراجعاتي وانفصالي عن الجماعة قد بدأ وهم في السلطة، فلم تكن السفينة قد غرقت بعد، بل كان ابتعادي عن الجماعة في الفترة التي كان الجميع يتقرب من الجماعة طمعا أو رهبا، أما التهمة الأخيرة فمازلت أضحك منها كلما تذكرتها.

بدأت الرحلة مع الإخوان وكانت العاطفة والحماسة جاثمتان على العقل، وأنهيتها بعدما كانت الغلبة للعقل، وكأن مقولة صديقي -سابق

عصره- الباحث (حسام تمام) -رحمه الله- والتي قال فيها: "من لم ينضم للإخوان في الثمانينات بلا قلب، ومن لم يتركهم في التسعينات بلا عقل" تتحقق في.

وفي كل من البداية والنهاية كنت باحثا عن الحق، وأرجو من الله أن أكون قد وصلت إليه، وأسأله لي ولكم الهداية والنجاة.

إلى الشباب

الشباب في كل أمة هم عمادها الذي تقوم عليه، فهم يدها العاملة عند البناء، وعقولها المفكرة في سبيل نهضتها، يمتلكون قوة وهمة تهد الجبال الرواسي، ولذلك كان على الدوام هدفا لأعداء الأمة؛ لإفقاده هذه القوة والهمة ما تحتاجه من علم ووعي، وبذلك يصبح وبالا على أمته لا عماداً لها؛ لأنه امتلك حداثة السن مع قلة العلم والوعي، وليس أدل على ذلك من وصف نبي الإسلام -صلى الله عليه وسلم- للخوارج بقوله: (حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام)، وهما صفتان لو اجتمعتا في شباب أي أمة؛ لانهارت أو أوشكت على الانهيار.

لقد استغل البعض سقوط الخلافة العثمانية، وما تعرضت له الأمة من أزمات، وحب شباب الأمة لدينه وحماستهم له، استغله في توجيه وعي الشباب، واحتلال عقولهم، بإعادة مصطلحات الخوارج الأول إلى الواجهة مرة ثانية، فظهرت مصطلحات يراد بها للأمة هدمًا، وللفهم الصحيح انحرافا، وعاد فهم الخوارج لقول الله (ومن لم يحكم بما أنزل

الله فأولئك هم الكافرون) في تكفير حكام المسلمين هو المسيطر على عقول الشباب، تاركين فهم الصحابة والتابعين وعلماء الأمة من بعدهم، على أن الكفر لمن ترك الحكم بما أنزل الله جحودًا وإنكارًا، وإنها للحكام والمحكومين على السواء، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، وليس بالكفر الذي تذهبون إليه.

وتارة أخرى تنتشر مصطلحات تكفيرية، مثل تسمية حكام المسلمين بالفراعين، والشباب يتلقفها كأنها قرآن يُتلَى، بلا وعي ولا بصيرة، ولو فكَّر الشباب لوجد البون شاسعًا، ولا وجه للتشبيه بين من ادعى الألوهية وقال: (أنا ربكم الأعلى) وحاول قتل نبي الله وقتل المؤمنين معه، وبين حكام المسلمين -ولو أتوا المظالم- فهم يشهدون الشهادتين، ولم يمنعوا أحدًا من الصلاة والصيام والحج، كما قال الحسن البصري -رضي الله عنه- لرجل من الخوارج سأله: ماذا تقول في الخوارج؟ قال الحسن: هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت إنهم أصحاب الدنيا، والواحد منهم يمشي بين الرماح حتى تتكسر فيه؟! ويخرج من أهله وولده؟! قال الحسن:

حدثني عن السلطان هل منعك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج والعمرة؟ قال: لا، قال الحسن: فأراه قد منعك الدنيا فقاتلته عليها.

وتراهم يشبهون حكام المسلمين بالطواغيت، ويسقطون آيات نزلت في الكفار والمشركين على الحكام وخصومهم السياسيين، كما قال ابن عمر -رضي الله عنهما- فيهم: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها في المؤمنين.

ولذلك كان على الشباب ألا ينخدع بهذه المصطلحات التكفيرية لخوارج العصر.

نصائح لأبناء التيار الإسلامي

وإذا كان يجوز لي أن أقدم عدة نصائح لأعضاء التيارات الإسلامية من باب الحرص عليهم، وعلى صواب أفكارهم، وحتى لا يكونوا فريسة لأفكار خاطئة تربوا عليها، ويبذلون في سبيلها سنوات عمرهم، وزهرة شبابهم، بل ودماءهم أيضًا، فأقول:

١ _اعلموا أن جماعة المسلمين هي الجماعة الكبرى، التي تجمع جميع المسلمين، مطيعهم وعاصيهم، ومن في إيمانه يرجح إيمان الأمة كأبي بكر -رضي الله عنه-، وكذلك مرتكب الكبيرة، وغلبته نفسه والشيطان، كذلك الشاب شارب الخمر ويأتون به للنبي لإقامة الحد عليه، ويقول له أحد الصحابة: ويحك، ما أكثر ما يؤتى بك، فيرد النبي الكريم قائلًا: أشهد أنه يحب الله ورسوله.

وأن من يميز نفسه عن هذه الجماعة الكبرى (جماعة المسلمين) فقد كون فرقة لا جماعة، وقد تحزب وفرق المسلمين، وقد قال الله -عز

وجل- لنبيه الكريم "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء..".

وإن التعصب للفرقة منهي عنه، حتى ولو كان لخير الناس بعد النبي، وهم صحابته الكرام من المهاجرين والأنصار، فقد قام كل فريق منهم ينصر فريقه، وقال المهاجرون: واه للمهاجرين، وقال الأنصار: واه للأنصار وكادوا يشتبكون، فأسرع النبي إليهم وقال: "أدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم؟! دعوها فإنها منتنة "، ونزلت الآية تنبههم إلى ضرورة الاعتصام وعدم الفرقة: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا..." فقد جاء الإسلام؛ ليوحدهم ويصهر جميع الأجناس في بوتقته، فوجدت عمر (القرشي) وسلمان (الفارسي) وصهيب (الرومي) في بوتقة واحدة بعيدًا عن التعصب للقبيلة، أو الجنس أو الفرقة أو الحزب، فانتماؤك لفرقة وتعصبك لها من دعاوى الجاهلية، وإن كان التعصب للمهاجرين والأنصار وهم خير الخلق بعد الأنبياء منتن، فإن التعصب لما هم دونهم أشد نتنًا بلا شك.

٢ _ تستطيع أن تخدم الإسلام دون الانتماء لفرقة من الفرق، وذلك عندما تكون قدوة في سلوكك وأخلاقك، مقدمًا الخير ومعينا

لغيرك، فيرى الناس الإسلام مجسدًا في شخصك، حتى وإن لم يسمعوه منك، فقد قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كان قرآنًا يمشي على الأرض".

٣_الدولة بمؤسساتها ليست عدوًا، بل هي منا ونحن منها، وعلينا جميعًا العمل معها حتى نرقى بوطننا، وذلك بأن يتقن كل منا عمله المنوط به، ويهتم بما استرعاه الله ويحاسبه عليه -سبحانه-، ولا تشغل نفسك بشيء لن تسأل عنه يوم القيامة، فكثير منا يضيع ما استرعاه الله فيه، بانشغاله بما ليس مسؤولًا عنه، والتغيير والإصلاح يبدأ من إصلاح النفس، "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

واعلم أن حب الوطن فطرة في قلب كل إنسان سوي، وهو من وفاء الرجل ووفاء عهده، كما قال عبد الملك بن قريب الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى

أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

ويكفيك أن تتعلم ذلك من نبي الإسلام _صلى الله عليه وسلم_ وهو مهاجر من مكة إلى المدينة، ينظر إلى مكة وتدمع عيناه ويقول: (والله

إنك لأحب بلاد الله إلى قلبي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) الله أكبر، أحب البلاد إلى قلبه وقد صد أهلها عن دعوته! وناله وأصحابه منهم من الإيذاء ما فوق طاقة البشر!، عبارة لا يقولها إلا من تشربت روحه بحب وطنه وأهله، فلما هاجر إلى المدينة واستقر به الحال فيها، لم يحك المؤامرات ضد مكة وأهلها، ولم يلجأ وأصحابه إلى أسلحة رخيصة ضدها، لم يبث الشائعات والأكاذيب لنشر الفتنة بين أهلها، ولم يشمت وأصحابه في مصيبة تصيب أهلها، ولم يساعد الروم والفرس عليهم؛ لأنه _صلى الله عليه وسلم_ لم يكن طالب ملك أو جاه أو مال (حاشاه)، بل كان يريد أن يخلوا بينه وبين الناس؛ ليبلغهم دعوة الله _عز وجل_.

٤ _ التمكين إرادة كونية، ولا دخل للإنسان في تحقيقه، أي أنه إرادة الله وحده، والإنسان غير محاسب عليه، فما علينا إلا الإيمان بالله، وإتباع الإيمان بالعمل الصالح، فإذا توافر الأمران في العباد مكن الله لهم "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون". فالتمكين وعد من الله، الذي يقول للشيء كن فيكون، وليس مطلوبًا منا السعي إليه أو الصراع من أجله.

٥_الحكم ونظامه ليس من الأصول كما جعله حسن البنا، وهو عند فقهاء الأمة من الفروع، والنبي _صلى الله عليه وسلم_ عندما قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا

شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت".

وواضح في الحديث أنه أتى على وجه الإخبار، أي أن الأمر حادث لا محالة، وهي إرادة كونية لن يقدم السعي إليها أو التقاعس عنها أي شيء، ولم يطلب منا الإسلام بذل الدماء أو إراقتها من أجلها، ومن الواضح أيضًا أن النبي الكريم لم يطلق مصطلح الخلافة، إلا على الخلافة الراشدة للخلفاء الأربعة الأولين، وكذلك خلافة آخر الزمان، وكثير من العلماء على أنها خلافة (المهدي) الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورًا وظلمًا، وأما غيره من أنظمة الحكم الأخرى فسماه النبي (ملكًا عاضًا، أو حكمًا

جبريًا) ولم يسمه خلافة، وإذا اشتاقت أنفسنا إلى الخلافة فلتشتاق إلى ما سماه النبي خلافة لا إلى غيرها.

وعليك أن تعي أن الخلافة منذ أن سقطت عام 1924 ميلاديا، مثل حلم إعادتها عند الشباب مبررًا لافتراق الأمة ونشأة الفرق، فتأسست فرقة الإخوان ودخلت في صدام شديد مع الدولة، وعاد فكر التكفير يطل برأسه مرة ثانية، ثم خرج من رحمها فرق أخرى، مارست التكفير والقتل كما مارسه الإخوان، ولم يستقر للوطن منذ ذلك قرار، ومنذ سنوات قليلة عاد فكر الخوارج من جديد مستغلًّا مصطلح الخلافة لجذب الأتباع، وتحقيق أطماع خاصة، فظهر نموذجان يحاول كل منهما تحقيق أطماعه ممتطيًا صهوة الخلافة:

أولها: شارك في التحضير لفوضى الخلافة، بل اعترف أنه من قادة الشرق الأوسط الجديد، وقدم نفسه للغرب على أنه القائد الذي يستطيع جمع تيارات ما يسمى بالإسلام السياسي في دولة الخلافة الجديدة، فيكفي دول الغرب شرها، ولا توجه سلاحها إلا إلى أبناء جلدتها، وقد انخدع بهذا النموذج بعض أبناء الأمة للأسف الشديد.

والنموذج الثاني: هو نموذج ما أطلق عليه الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) امتطى مصطلح الخلافة أيضًا لجذب الأتباع، وظهر على النقيض من النموذج الاول، فقدم الإسلام على أنه

دين سفك الدماء و قطع الرقاب وحرق البشر أحياء، وعاد سبي النساء في القرن الواحد والعشرين وتوزيعهم على (المجاهدين)!

ومن خلال ذلك تبين أن ليس كل من حمل الدعوة إلى الخلافة يعرف قدرها، أو يستطيع إرجاعها حقًّا، وبعضهم لا يقدر على حكم مدينة أو حي صغير.

وقد نال هذا النموذج دعم النموذج الأول في أوقات كثيرة، وتحالف النموذجان في أماكن كثيرة، ورأينا كيف فتح مطار أسطنبول للدواعش من جميع أنحاء العالم؛ للقدوم إلى سوريا والعراق، واستطاع أعداء الأمة تحقيق أهدافهم في الفوضى (الخلاقة)، فسفكت دماء المسلمين، وخربت بيوتهم وأوطانهم، وأصبحوا مشردين بالملايين، بل وأصبحت دولهم أثرا بعد عين، فهل تفيق

الشعوب أم ينتظرون عدوًا يمتطي الخلافة مرة ثانية؟!

٦_لا تكاد فرقة من هذه الفرق تخلو من اختراق أجهزة مخابرات عالمية لها، كبر هذا الاختراق أم صغر ولكنه حادث، وتوجه هذه الأجهزة المخابراتية تلك الفرق بطريقة خفية؛ لما يخدم مصالحها ومخططاتها في دولنا العربية والإسلامية، ولو كانت هذه الفرق تخدم الإسلام، ما وفر لها أعداء الإسلام المأوى والملاذ.

٧_إذا قدر لك أن تنضم لإحدى هذه الفرق، فابتعد مطلقًا عن استخدام العنف وإراقة الدماء، "فلن يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا"، كما أخبر الصادق المصدوق، ولتفر منها مستبرئا لدينك.

حتى لا تقع فى الشباك

وحتى لا تقع في الشــبـاك، فمن واجبي أن أقدم لك أيها القارئ خلاصة تجربتي، ملخصة في بعض النصائح؛ حتى لا تكون فريسة سهلة لهذه الفرق، أو وقوداً لها، ومتعصبًا لأفكارها.

١_كن حذرًا أمام كل الأفكار التي تعرض عليك، وعليك قبل الإيمان بها أن تقرأ لمنتقديها قبل مؤيديها، فلربما كان المعارضون لها على الصواب، ومن ثم تبتعد عنها وأنت على شاطئها، ولو خضت في لجاجها؛ لتعصبت لها وكان إنقاذك منها من المستحيلات.

٢_لا تقبل بالسرية في أمر دينك، أو أن يناجيك أحدهم به، فقد قال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: "إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"، وكل هذه التنظيمات تعتمد على السرية في أمر دينها، وقد كان كراهيتي للعمل السري، من أسباب نجاتي من الانخراط في التنظيم بفضل الله.

٣. _ تعلّم العلم قبل أن تعمل، فالعلم الشرعي عاصم لك من الوقوع في براثن هذه التنظيمات، وقد حذر الإمام الحسن البصري من الإيغال في التعبد والعمل قبل التحصن بالعلم، وقال كلمته البليغة:

(العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة بغير علم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا).

٤ _ الإسلام لم يحدد تفاصيل لنظام الحكم، ولكنه وضع قواعد عامة، سواء في النظام السياسي أو الاقتصادي أو غيره، فسياسيًا: أمر بقواعد عامة مثل تحقيق العدل والشورى، واقتصاديًا: فرض الزكاة على الأغنياء، وأباح الملكية الخاصة، ونهى عن تبديد المال العام، وحرم الغش، والغرر، والربا، والاحتكار، فأي نظام يحقق تلك المبادئ، فهو نظام يتوافق مع الإسلام، ويحقق مصالح الناس التي جاءت من أجلها الشريعة.

٥ _ الحق لا يُعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق، وكثير ممن يسمون أنفسهم أو يسميهم أتباعهم علماء في هذه التنظيمات يخطئون

في فهم مسائل حيوية من أولويات الدين، ولو فقهوا ما كونوا فرقًا أو تنظيمات، كما ينبغي ألا تغتر بكثرة عبادتهم أو سمتهم الخارجي، فقد وصف النبي الكريم من هم أكثر منهم عبادة بقوله: "تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم" وبالرغم من ذلك قال عنهم: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" لأنها عبادة بلا فهم صحيح للدين.

٦_ استغل أوقات فراغك فيما يفيد، ومارس الهوايات النافعة، واهتم بدراستك، ولا تقدم عليها شيئًا، وقابل اهتمام الآخرين الزائد بك بالحذر، ولا تسلم لأحد عقلك، وكن قارئًا حرًا ناقدًا، ولا تدع الآخرين يوجهون ثقافتك، واجعل والديك موضع ثقتك، واستفد من خبراتهما والفطرة السوية لديهما، وعلى الآباء أن يكونوا قدوة للأبناء، يقربونهم ويقربون أصدقاءهم أيضًا، حتى لا تكون الصداقات سببًا في الإيقاع بأبنائهم فريسة لهذه التنظيمات.

٧- إياك وتزكية النفس وخاصة في أمر الدين، لأننا نعيش في زمن فتن تعصف بالعقول وتجعل الحليم حيران، ولا عاصم منها إلا الله، ولقد حذرنا النبي الكريم منها فقال: "تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشرِبها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه

نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز، مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه". فالفتن تبدأ بشبهة صغيرة يتعودها القلب، ثم تتوالى واحدة تلو الأخرى، حتى لا يستطيع صاحبها أن يفرق بين المعروف والمنكر، ويتملكه هواه، وأول هذه الفتن عند هذه الفرق تزكية النفس في أمر الدين، ثم تتوالى الفتن، فينظرون إلى مجتمعهم على أنهم مجموعة من الهلكى، ثم بعدها تكون (العصبة المؤمنة)، ثم العزلة الشعورية، ثم الصدام مع المجتمع وحمل السلاح ضده.

٨- من حقنا أن نختلف فيما بيننا، في طريقة الدولة في تسيير الأمور وإدارتها، فكلٌّ منا له وجهة نظره التي يراها صوابًا، ويدافع عنها بكل ما أوتي من منطق وعلم، ربما يكون لديك حلول ومقترحات تراها أكثر جدوى في حل كثير من المشكلات، نختلف حول قضايا الوطن ولا نختلف حول الوطن، وضرورة المحافظة عليه خاصة وهو يتعرض لأخطار جمة، نحبه ونعمل من أجله، ندرأ عنه الأخطار والفتن وقد رأينا كيف عصفت الفتن بأوطان وشعوب -والعاقل من اتعظ بغيره- نفرح بكل إنجاز ينجزه أبناؤه،

ونحزن عندما يصيبه وأبناءه الشوكة، هذا اختلاف تنوع يستفيد منه الوطن.

أما عندما لا يفرق بعضنا بين الاختلاف والخيانة، فيتحول إلى عدو لوطنه، ولعبة في يد أعدائه، لا يرى في وطنه إلا كل قبيح، يشوه كل إنجاز، ويشمت في كل مصيبة، يلعب دور (ابن العلقمي) الوزير الخائن، الذي مهد للتتار اكتساح بغداد، والقضاء على الخلافة العباسية، أو يمارس دور (أبي رغال) الذي دل أبرهة على الطريق نحو الكعبة؛ ليهدمها، فيتحول بذلك إلى خائن لوطنه ولا يستحق الانتماء إليه.

حذار أن تتحول من الاختلاف لصالح الوطن إلى خائن له.

الفهرس



ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339